التعليقات اليسيرة على رسالتي: «ثلاثة الأصول وأدلتها» ورسالة «فضل الإسلام»

لإمام الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي ت١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد

حدثنا الشيخ صالح بن عبدالله بن حمد العصيمي عن جماعة من شيوخه وهو أول حديث سمعته منه بإسناده إلى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو، عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمونَ يرحمُهُمُ الرحمنُ، ارحموا من في الأرضِ، يرحمْكُمْ مَن في السماء»، ومن آكد الرحمة رحمة المعلمين بالمتعلمين بتسهيل العلم لهم وتلقينهم إياه، وهذا الكتاب الأول في هذه الدورة التأصيلية الأولى سنة ١٤٤٦هـ وهو كتاب " ثلاثة الأصول وأدلتها" لإمام الدعوة السلفية الإصلاحية الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وقبل أن نبدأ بالقراءة والتعليق فلنتعرف على ترجمة مختصرة لهذا الإمام رحمه الله تعالى، ونبذة مختصرة عن هذه الرسالة.

أولًا: ترجمة مختصرة للإمام محمد بن عبدالوهاب

الاسم والنسب: هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي.

مولده: ولد رحمه الله تعالى في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ

مشايخه: تلقى العلم عن الكثير من المشايخ أبرزهم والده العالم القاضي الشيخ عبدالوهاب بن سليمان، والشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن سالم البصري، وقد كانت له رحلات في طلب العلم إلى مكة والمدينة والعراق والشام.

تلاميذه: من أبرزهم أبناؤه: حسين وعبدالله وعلي وإبراهيم، ومن أحفاده: عبدالرحمن بن حسن.

والشيخ حمد بن معمر والشيخ عيسى بن قاسم والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ ثنيان بن سعود والشيخ عبدالرحمن بن ذهلان والشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان والشيخ أحمد بن مانع وغيرهم كثير.

من مؤلفاته:

"كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" ورسالة "ثلاثة الأصول وأدلتها"، و"كشف الشبهات" و "فضل الإسلام" و "القواعد الأربع" و "نواقض الإسلام" و "أصول الإيمان" و "مختصر السيرة" وغير ذلك مجموعة في مجموع مؤلفات ورسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

جهوده الدعوية:

عُرِفَ عن الشيخ رحمه الله تعالى تركيزُه على دعوة الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك ومظاهره كالتوسل بالقبور والأضرحة والأشجار والأحجار، والتحذير من البدع والخرافات وأهلها من الصوفية والرافضة، وقد أوذي في سبيل الله كثيرًا حتى حقق الله له النصر والتمكين خاصة بعدما اتفق مع الإمام محمد بن سعود على نُصرة هذا الدين والسعي لإقامة شريعة الله عز وجل في الأرض، فانتشرت هذه الدعوة النقية التوحيدية داخل وخارج شبه الجزيرة العربية.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى بعد سنين حافلة في نصرة هذا الدين وتوحيد رب العالمين سنة ١٢٠٦هـ عن عمر ٩١سنة في بلدة الدرعية.

مصادر لترجمته:

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية.
- عنوان المجد في تاريخ نجد.
- تاريخ ابن غنام.

وينظر للفائدة والاستزادة:

- فتح الملك الوهاب في الرد على من طعن في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب - لناصر العبيدان.
- الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب - لعبدالمجيد بن محمد الوعلان.

ثانيًا: نبذة موجزة عن رسالة ثلاثة الأصول:

هذه الرسالة اللطيفة صغيرة الحجم عظيمة الأثر والنفع، فيها توضيح لأصول العقيدة الإسلامية، وأهم ما ينبغي على المسلم الموحِّد أن يعرفه في أساسيات دينه الإسلامي التي بدونها لا يصح إسلامه، فقد تكلم فيها الشيخ عن معرفة الله سبحانه وتعالى وكيف السبيل إلى أن نتعرف إليه وذلك عن طريق آياته ومخلوقاته الدالة على وجوده ووحدانيته والحذر من الشرك وأنه من أعظم الذنوب، وحقيقة العبادة التي لا تكون إلا له سبحانه، ثم تكلم عن معرفة دين الإسلام وأنه على ثلاثةِ مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، ثم عن معرفة رسولنا محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه، كل ذلك بشكل موجز وسهل ومقرون بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وعليه فينبغي على المسلم الحريص على معرفة دينه أن يتعلم هذه الرسالة ويعلمها أهله وأولاده حتى يكونوا على بصيرة في أمر دينهم.

وأنبه على تنبيه نبه عليه مشايخنا منهم شيخنا صالح العصيمي حفظه الله تعالى إذ ذكر نقلًا عن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى أن رسالة ثلاثة الأصول بدايتها قول الشيخ: اعلم أرشدك الله لطاعته أن

الحنيفية ملة إبراهيم...؟ إلى نهاية الرسالة، وأما المقدمتان السابقتان المبدوءة بقوله اعلم رحمك الله، اعلم رحمك الله، هي من كلام الشيخ المنفرد عن هذه الرسالة لكن ضمها بعض تلاميذ الشيخ لهذه الرسالة لمناسبتها لمحتوى هذه الرسالة، ثم تداولها العلماء طبقة عن طبقة كلها باسم ثلاثة الأصول.

بداية الرسالة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(الأُولَى) الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية) العمل به.

(الثالثة) الدعوة إليه.

(الرَّابِعَةُ) الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]

قال الشافعي رحمه الله تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تعالى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ" اهـ.

شرح المقدمة الأولى:

ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى بالبسملة مقتصرًا عليها اتباعًا للكتاب العزيز ولسنة النبي صلى الله عليه وسلم في استفتاحه رسائله إلى الملوك، والمؤلفات والتصانيف لا تختلف عنها.

ثم قال: اعلم رحمك الله، وهذا دعاء من الشيخ لقارئ هذه الرسالة ومن يسمعها وكل من تصل إليه من المسلمين بأن يرحمه الله تعالى، وهذا من شفقة الإمام ومن جميل أساليبه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بأن يبدأ كلامه بالدعاء لمن يراسله، والعلم لا بد أن يكون ممزوجًا بالرحمة، بأن تكون الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن.

ثم بين أنه يجب علينا -أي نحن المسلمين-، والواجب هو الذي لا يقوم دينك إلا إذا تعلمته وعملت به ومن ذلك: معرفتك بربك وبدينك وبهذا الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، فلا يصح إسلامك إلا بمعرفة ذلك، فإن لم تتعلم فأنت آثم، فنقول في تعريف الواجب: هو ما أُمر به العبد على وجه الحتم والإلزام.

وحكمه: يثاب فاعله امتثالًا ويعاقب تاركه.

فيجب أن نتعلم أربع مسائل مهمة جدًا وهي العلم -وبيّن العلم المراد بأنه معرفة الله عز وجل ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام ويكون ذلك مبني على الأدلة-، والعمل به – أي أن تعمل بهذا العلم الذي تعلمته تعمل بما تعلمت من معرفة الله، عرفت وجوده وألوهيته وربوبيته وما له من الأسماء الحسنى والصفات العليّة فتعمل بمقتضى ذلك وتعمل بما علمت من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فتعرف من هو وما نسبه وكيف كانت

حياته قبل النبوة وبعد النبوة والرسالة وكيف أوذي في سبيل الله وقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وما هي الشريعة التي جاء بها، وكيف انتشر هذا الدين -فهو أسرع الأديان انتشارًا وقَبولًا عند الناس الذين على فطرتهم-، وتعرف براهين نبوته يعني الآيات التي جاء بها التي تدل على أنه رسول مرسل من رب العالمين وتعمل بشريعته التي جاء بها فتأتي بالأوامر وتجتنب النواهي، تطيعه فيما أمر وتصدقه فيما أخبر وتنتهي عما نهى عنه وزجر، ثم تعمل بما تعلمته من دين الإسلام وأنه على ثلاثة مراتب وهذه المراتب لها أركان فتعرف أركان الإسلام الخمسة وأركان الايمان الستة وركن الإحسان وكل هذا العلم الذي تعلمته تعمل به لوجود الأدلة على ذلك فأنت تتقرب إلى ربنا سبحانه بأدلة وبراهين ولا تعبده كما يعبده الضالين، وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى القَدْر المجزىء من كل أصل، بحيث أنك إن تعلمته فقد عرفت ما يكفي من هذا الأصل الذي يرفع عنك إثم الجهل بهذه الأصول الثلاثة، ثم تأتي المسألة التي تليها وهي: الدعوة إليه والصبر على الأذى فيه، والصبر على ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة.

وهذه كلها ستصيب السائرين إلى الله سبحانه وتعالى فأنت أيها المسلم أولى من يتصبر على هذا وخاصة طالب العلم الحريص على هداية أمته وانتشالهم من وحل الجهل وبراثين الشبهات والشهوات، فاعلم حينها أنك حينما تدعو إلى الله تعالى وتعليم الناس بهذه الأصول الثلاثة أنه سينالك شيء من الأذى كما أوذي من قبلك من الأنبياء والرسل والدعاة المصلحين، فتعلم حينها أنك ستواجه بعض البلايا والمصائب فتجهز نفسك على التسلح باليقين والتوكل على الله سبحانه ثم بالعلم النافع والعمل الصالح، ستبتلى حينما تتكلم عن توحيد الله تعالى من قِبل القبورية وعباد الأضرحة والمشاهد، وستبتلى حينما تتكلم عن أسماء الله وصفاته من قِبل المعطلة والممثلة، وستبتلى من قِبل أهل الإلحاد واللأدرية حينما تتكلم عن ربوبية الله سبحانه وتعالى، وكذلك حينما تعرف بهذا الدين وبهذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ستبتلى من قِبل أهل الملل من اليهود والنصارى والمجوس بسماعك منهم ما تكره في ربك وفي دينك وفي نبيك فلا بد من الصبر والدعوة على بصيره.

والعلم يختلف عن المعرفة فالعلم ما لم يُسَبق بجهل والمعرفة يسبقها جهل لذا يوصف الله بالعلم ولا يوصف بالمعرفة، فتعريف العلم: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، والإدراك هو الوصول إلى الشيء وتحصيله، فمراتب الإدراك ستة وهي:

الأولى العلم: وهي إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

الثانية الجهل البسيط: وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة الجهل المركب: وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة الوهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة الشك: وهو إدراك الشيء مع احتمال مساوٍ.

السادسة الظن: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والمعرفة: هي الإدراك الإجمالي، أو الإدراك التفصيلي، فأنت قد تعرف الشيء معرفة إجمالية، وقد تعرف الشيء معرفة تفصيلية.

وعلى هذا فالواجب على الخلق كافة أن يعرفوا الله تعالى ويعرفوا رسوله صلى الله عليه وسلم ويعرفوا دين الإسلام بقدر مجزئ يرفع عنهم الإثم.
وأما الإدراك بالمعنى التفصيلي فهي المعرفة المتعلقة بآحاد من الخلق يعني بعض أفراد الخلق كطلاب العلم والعلماء فيعرفوا تفاصيل الشريعة، والعلماء وطلاب العلم معرفتهم تزيد عن معرفة عموم الناس معرفة زائدة؛ لأنهم هم الذين يتولون الإفتاء والقضاء والحكم والتعليم فلا بد أن يكون ذلك كله مبني على العلم التفصيلي بأحكام الشريعة.

وهذه الأمور الثلاثة وهي معرفة الله ونبيه ودين الإسلام هي الأصول الثلاثة التي سيسأل عنها العبد أول ما يوضع في قبره كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وأصله في الصحيحين قال: «خرَجْنا معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ في جِنازةِ رجلٍ منَ الأنصارِ، فانتَهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحَدْ، فجلَسَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وجَلَسنا حولَهُ كأنَّما على رءوسِنا الطَّيرُ، وفي يدِهِ عودٌ ينْكتُ بِهِ في الأرضِ، فرفعَ رأسَهُ، فقالَ: استَعيذوا باللَّهِ من عذابِ القبرِ مرَّتينِ، أو ثلاثًا، زادَ في حديثِ جريرٍ هاهنا وقالَ: وإنَّهُ ليسمَعُ خفقَ نعالِهم إذا ولَّوا مدبرينَ حينَ يقالُ لَهُ: يا هذا، مَن ربُّكَ وما دينُكَ ومن نبيُّكَ ؟ قالَ هنَّادٌ: **قالَ: ويأتيهِ ملَكانِ فيُجلِسانِهِ فيقولانِ لَهُ: مَن ربُّكَ ؟ فيقولُ: ربِّيَ اللَّهُ، فيقولانِ: ما دينُكَ ؟ فيقولُ: دينِيَ الإسلامُ، فيقولانِ لَهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم ؟ قالَ: فيقولُ: هوَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، فيقولانِ: وما يُدريكَ ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللَّهِ فآمنتُ بِهِ وصدَّقتُ** زادَ في حديثِ جريرٍ فذلِكَ قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ {يُثبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا..} - ثم اتفقا: قال -: فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن قد صدقَ عَبدي، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى الجنَّةِ، وألبسوهُ منَ الجنَّةِ قالَ: فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها قالَ: ويُفتَحُ لَهُ فيها مدَّ بصرِهِ قالَ: وإنَّ الْكافرَ فذكَرَ موتَهُ قالَ: وتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، **ويأتيهِ ملَكانِ فيُجلِسانِهِ فيقولانِ: من ربُّكَ ؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ لا أدري، فيقولانِ لَهُ :ما دينُكَ؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ، لا أدري، فيقولانِ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكُم؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ، لا أدري، فُينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن كذَبَ، فأفرشوهُ منَ النَّارِ، وألبِسوهُ منَ النَّارِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى النَّارِ قالَ: فيأتيهِ من حرِّها وسمومِها قالَ: ويضيَّقُ عليْهِ قبرُهُ حتَّى تختلِفَ فيهِ أضلاعُهُ** زادَ في حديثِ جريرٍ قالَ: ثمَّ يقيَّضُ لَهُ أعمى أبْكَمُ معَهُ مِرزبَّةٌ من حديدٍ لو ضُربَ بِها جبلٌ لصارَ ترابًا قالَ: فيضربُهُ بِها ضربةً يسمَعُها ما بينَ المشرقِ والمغربِ إلَّا الثَّقلينِ فيَصيرُ ترابًا قالَ: ثمَّ تعادُ فيهِ الرُّوحُ».
أخرجه أبو داود (4753) واللفظ له وصححه الألباني ، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصراً، وأحمد (18557)

لذا من شفقة المؤلف رحمه الله وجزاه خير الجزاء على هذه الأمة صنف هذه الرسالة لتعليم عموم المسلمين ما ينبغي عليهم معرفته من هذه الأصول الثلاثة والعمل بما فيها والدعوة إليها والصبر على الأذى في هذا الطريق.

وقوله "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾"

الدليل تعريفه: هو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على هذه الأمور أي ما يتعلق بمعرفة الله ورسوله ودين الإسلام كثيرة منها سمعية وعقلية فالسمعية أي التي ثبتت عن طريق الكتاب والسنة الصحيحة وهي كثيرة مستفيضة سيأتي ذكر بعضها في موضعها عندما نتكلم عن كل أصل، والعقلية هي التي ثبتت عن طريق النظر والتأمل وإعمال العقل.

فذكر المصنف رحمه الله تعالى دليل هذه المسائل الأربع وهي العلم والعمل والدعوة والصبر على الأذى سورة العصر.

فقوله إلا الذين ءامنوا= دليل العلم، وهو الإيمان الذي يترتب عليه معرفة ما يقرب إلى الله سبحانه من اعتقاد صحيح.

وقوله وعملوا الصالحات= دليل العمل، وهو كل عمل صالح من قول أو فعل يقرب فاعله من الله تعالى مخلصًا له.

وقوله وتواصوا بالحق= دليل الدعوة، وذلك عن طريق التواصي بالحق أي بفعل الخير والحث والترغيب به والتحذير من الشر والابتعاد عنه.

وقوله وتواصوا بالصبر= دليل على الصبر، وذلك بأن يصبر بعضهم بعضا على فعل الأوامر والصبر على الابتلاءات وأقدار الله تعالى المؤلمة كالأمراض المزمنة وفقد الأحبة وما شابه ذلك، والصبر عن محارم الله أي بالبعد عنها وتذكير النفس بأن ما في الآخرة خير وأبقى وأن لذة الدنيا زائلة.

فأقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر وهو الوقت المعروف في آخر النهار، أن الإنسان في خسارة إلا من اتصف بأربع صفات وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فمن لم يتصف بهذه الصفات الأربع فهو في خسارة في الدنيا والآخرة، لذا قال الشافعي رحمه الله تعالى:" لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ." اهـ أي هي كافية في قيام الحجة عليهم بوجوب التمسك بالإيمان وهذا من العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

وهذا اللفظ ورد كذلك عن الشافعي رحمه الله تعالى بلفظ:" لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم" اهـ ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لسورة العصر، والمعنى متقارب.

وذكرها الحافظ الفقيه النووي رحمه الله تعالى كما في مقدمة المجموع شرح المهذب بلفظ:" النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عن هذه السورة (والعصر ان الانسان لفى خسر) " اهـ

ثم ذكر قول الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى الوارد في صحيحه وهو أصح الكتب الحديثية:

"وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تعالى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ" اهـ.

وقول البخاري المقتبس من الصحيح ينتهي عند «فبدأ بالعلم» فاستغنى البخاري بهذا اكتفاءً بما ذكره في الباب وهو قوله في الصحيح: باب العلم قبل القول والعمل، وأما جملة «قبل القول والعمل» المذكورة هنا فهي زيادة

تفسر كلام الإمام البخاري رحمه الله تعالى من كلام المصنف رحمه الله تعالى.

ووجه الدلالة: أن الإمام البخاري رحمه الله ذكر أنه ينبغي العلم قبل أي قول وعمل فالعلم يأتي قبل العمل لأن هذا الذي أمر الله سبحانه بقوله {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات} وقوله فاعلم صيغة أمر والأمر يدل على الوجوب. فأمر بالتعلم قبل العمل؛ لأن العمل بلا علم يؤدي إلى الضلال والانحراف كما حصل للنصارى، وأما العلم بلا عمل فيؤدي إلى غضب الله تعالى كحال اليهودي فمن عمل بلا علم شابه النصارى ومن علم بلا عمل شابه اليهود.

[المقدمة الثانية]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل والْعَمَلُ بِهِنَّ.

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا - فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يجوز له موالاة من حاد الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
[المجادلة: ٢٢]" اهـ.

شرح المقدمة الثانية:

ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذه المقدمة الثانية ثلاثة مسائل كذلك يجب وجوبًا على كل مسلم أن يتعلمها ويعمل بها:

فالمسألة الأولى: مقصودها بيان وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالله هو الذي خلقنا ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفّاكُم وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إِلى أَرذَلِ العُمُرِ لِكَي لا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئًا إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ قَديرٌ﴾ [النحل: ٧٠]

وقال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِن ماءٍ فَمِنهُم مَن يَمشي عَلى بَطنِهِ وَمِنهُم مَن يَمشي عَلى رِجلَينِ وَمِنهُم مَن يَمشي عَلى أَربَعٍ يَخلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ [النور: ٤٥]

وقال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُم أَزواجًا وَما تَحمِلُ مِن أُنثى وَلا تَضَعُ إِلّا بِعِلمِهِ وَما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلّا في كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ﴾ [فاطر: ١١]

وقال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ﴾ [الصافات: ٩٦]

ورزقنا كما قال سبحانه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزواجًا وَجَعَلَ لَكُم مِن أَزواجِكُم بَنينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالباطِلِ يُؤمِنونَ وَبِنِعمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرونَ﴾ [النحل: ٧٢]
وقال ﴿وَلَقَد كَرَّمنا بَني آدَمَ وَحَمَلناهُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَرَزَقناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلناهُم عَلى كَثيرٍ مِمَّن خَلَقنا تَفضيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]
وقال ﴿اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ قَرارًا وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُم فَأَحسَنَ صُوَرَكُم وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾ [غافر: ٦٤]
وقال ﴿وَما مِن دابَّةٍ فِي الأَرضِ إِلّا عَلَى اللَّهِ رِزقُها وَيَعلَمُ مُستَقَرَّها وَمُستَودَعَها كُلٌّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾ [هود: ٦]

وأرسل إلى الخلق الرسل فقال ﴿وَلَقَد بَعَثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطّاغوتَ فَمِنهُم مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنهُم مَن حَقَّت عَلَيهِ الضَّلالَةُ فَسيروا فِي الأَرضِ فَانظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبينَ﴾ [النحل: ٣٦]
وأنزل معهم الكتب فقال ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الكِتابَ بِالحَقِّ وَإِنَّ الَّذينَ اختَلَفوا فِي الكِتابِ لَفي شِقاقٍ بَعيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]
وقال ﴿كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النّاسِ فيمَا اختَلَفوا فيهِ ...﴾ [البقرة: ٢١٣]
فلم يترك خلقه هكذا هملا أي مهملين لا يؤمرون ولا ينهون، فوجود الإنس والجن ليس عبثًا ﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّما خَلَقناكُم عَبَثًا وَأَنَّكُم إِلَينا لا تُرجَعونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]
وإنما وجدوا لغاية عظيمة وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال سبحانه ﴿الَّذي خَلَقَ المَوتَ وَالحَياةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزيزُ الغَفورُ﴾ [الملك: ٢]
فإذا تقرر هذا وعلمت أن الإنسان ما وجد إلا لعبادة الله سبحانه وتعالى حينها كيف يعرف العبادة الصحيحة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى؟ عن طريق الرسل لذا يجب طاعة الرسل ﴿وَما أَرسَلنا مِن رَسولٍ إِلّا لِيُطاعَ بِإِذنِ اللَّهِ ...﴾ [النساء: ٦٤]، حتى يمكن للعباد أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى كما شرع، فمن أطاع الرسل دخل الجنة ومن عصى الرسل دخل النار وبئس القرار.
ووجه الاستدلال بالآية التي ذكرها المصنف: أن الله تعالى كما أرسل إلى فرعون رسولًا وهو موسى عليه الصلاة والسلام فخالف فرعون أمر الرسول وعصاه، أخذه الله أخذًا وبيلا أي شديدًا فأغرقه في البحر، كذلك أرسل لهذه الأمة رسولًا وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيجب طاعته وعدم معصيته، ففي هذه الآية تحذير لهذه الأمة المحمدية من معصيتهم لرسولهم صلوات ربي وسلامه عليه.
والخلاصة: أنك ما خلقت أيها الإنسان إلا لعبادة الله سبحانه، وكيف تعرف الطريق الصحيح للعبادة؟ عن طريق طاعة الرسل، لذا يجب طاعتهم وعدم مخالفة أمرهم؛ ففي ذلك النجاة في الدنيا والآخرة، ولأهمية ذلك نبه المصنف على هذه المسألة العظيمة المهمة ليبين لك أنها من الواجبات التي يجب علينا معرفتها.

والمسألة الثانية: مقصودها بيان إبطال الشرك في الألوهية – أي العبادة- فلا أحد يستحق أن يصرف له شيء من العبادة إلا الله سبحانه وتعالى حتى لو كان هذا المصروف له من الملائكة المقربين كجبريل عليه السلام أو الرسل المصطفين كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا أحد من خير البشر ولا أحد من خير الملائكة يستحق

شيء من العبادة فمن باب أولى أن من كان دونهما أنه لا يستحق شيء من العبادة، فالعبادات كلها لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، ووجه الدلالة من الآية {وأن المساجدَ لله فلا تدعُوا مع الله أحدا} بمعنى لا تعبدوا مع الله أحدا، فالدعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء مسألة: وهي التي يكون فيها سؤال الله عز وجل بأن يطلب منه الحاجات، كأن يقال: اللهم اغفر لي، اللهم ارزقني، اللهم وفقني، اللهم اهدني ونحو ذلك.

ودعاء عبادة: وهي العبادات الفعلية كالصلوات والصدقة والحج والذبح والاستغاثة والتوكل إلى آخر ذلك، والقولية كالأذكار، فسائر العبادات القولية والفعلية هذه كلها تعتبر من الدعاء أي دعاء العبادة.

والفرق بينهما: أن دعاء المسألة يركز على طلب شيء محدد، وأما دعاء العبادة يركز على التعبد والتقرب إلى الله سبحانه دون طلب حاجة، فهو من هذه الحيثية أعم وأشمل لأنه يتحقق بمجرد التوجه إلى الله سبحانه بالذكر أو العبادة، قولية كانت أو فعلية.

فلا يجوز أن يُصرف شيء من دُعاء المسألة ودُعاء العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

والمسألة الثالثة: مقصودها بيان وجوب البراءة من المشركين وهي متعلقة بمسألة تسمى مسألة **الولاء والبراء** التي للأسف ضيعها كثير من المسلمين وجهلوها، فيجب البراءة من المشركين ولو كان المشرك الكافر من أقرب الناس إلينا، قال عز وجل عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن آمن معه ﴿قَد كانَت لَكُم أُسوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبراهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إِذ قالوا لِقَومِهِم إِنّا بُرَآءُ مِنكُم وَمِمّا تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ كَفَرنا بِكُم وَبَدا بَينَنا وَبَينَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغضاءُ أَبَدًا حَتّى تُؤمِنوا بِاللَّهِ وَحدَهُ إِلّا قَولَ إِبراهيمَ لِأَبيهِ لَأَستَغفِرَنَّ لَكَ وَما أَملِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيءٍ رَبَّنا عَلَيكَ تَوَكَّلنا وَإِلَيكَ أَنَبنا وَإِلَيكَ المَصيرُ﴾[الممتحنة: ٤] وقال عز شأنه ﴿وَما كانَ استِغفارُ إِبراهيمَ لِأَبيهِ إِلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنهُ إِنَّ إِبراهيمَ لَأَوّاهٌ حَليمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]

وقال سبحانه ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذوا آباءَكُم وَإِخوانَكُم أَولِياءَ إِنِ استَحَبُّوا الكُفرَ عَلَى الإيمانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ﴾ [التوبة: ٢٣]

فالولاء: بمعنى المحبة والنصرة والقرب والمودة، والبراءة بمعنى التنزه والتباعد، وهذا بالتعريف اللغوي، أما بالتعريف الشرعي فالولاء بمعنى الولاء لله تعالى بالإخلاص وللرسول صلى الله عليه وسلم بالاتباع، وللمؤمنين بالمحبة والنصرة.

وأما البراءة فهي البراءة من كل ما تبرأ الله عز وجل منه ورسوله صلى الله عليه وسلم، كالبراءة من الشرك وأهله بتحقيق التوحيد لله تعالى والبعد عن الشرك، والبراءة من المشركين ودينهم ببغضهم ومعاداتهم، والبراءة من البدع وأهلها وذلك باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بسننه، والبراءة من أهل البدع وبغضهم ومعاداتهم.

وذكر بعض أهل العلم أن الولاء على نوعين، ولاء مشروع وولاء غير مشروع، فالولاء المشروع أربعة أنواع: الولاء لله سبحانه، والولاء لرسوله صلى الله عليه وسلم، والولاء للمؤمنين، والولاء للكافر -وانتبه لهذا القيد المهم- في [الظاهر] دون الباطن لوجود عذر شرعي وهو الإكراه، فهو يظهر الولاء في الظاهر دون الباطن فهذه

رخصة دليلها قوله سبحانه: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤمِنونَ الكافِرينَ أَولِياءَ مِن دونِ المُؤمِنينَ وَمَن يَفعَل ذلِكَ فَلَيسَ مِنَ اللَّهِ في شَيءٍ إِلّا أَن تَتَّقوا مِنهُم تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفسَهُ وَإِلَى اللَّهِ المَصيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]
قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه [أضواء البيان (٢/ ١٣٣)]:" فهذه الآية الكريمة فيها بيانٌ لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا وإيضاحٌ؛ لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يُكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة." اهـ، أما في حال الاختيار والعمد فلا شك في كفره.

وأما الولاء غير المشروع فهو على نوعين:
الأول: الولاء للكفار في جميع أحوالهم في الظاهر والباطن وهذا كفر مخرج من الملة.
الثاني: الولاء للكفار في الظاهر دون الباطن لغير عذر شرعي وإنما لأمر دنيوي، فهذه موالاة محرمة.
انظر [دراسات في علم العقيدة (٤/ ٣٢٥-٣٢٧)].

من مظاهر الولاء المشروع:
١- محبة جميع المؤمنين في جميع الأماكن والأزمان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.
٢- نصرة المسلم لأخيه المسلم إذا ظُلم أو اعتدي عليه في أي مكان، ومن أي جنسية كان.
٣- مساعدتهم بالنفس والمال عند اضطرارهم إلى ذلك.
٤- التألم لما يصيبهم من المصائب والأذى والسرور بنصرهم وجميع ما فيه خيره لهم والرحمة لهم وسلامة الصدور نحوهم.
ومنه تشميت العاطس وكف الأذى ورد السلام وتجهيز الميت والصلاة عليه وعيادة المريض والسلام على من لقيه إلى غير ذلك.

ومن مظاهر الولاء غير المشروع:
أ) الموالاة الكفرية:
١- الإقامة في بلاد الكفار اختيارًا لصحبتهم مع الرضا بما هم عليه من الدين أو القيام بمدح دينهم، وإرضائهم بعيب المسلمين.
٢- أن يتجنس المسلم بجنسية دولة كافرة تحارب المسلمين ويلتزم بجميع قوانينها وأنظمتها بما ذلك التجنيد الإجباري ومحاربة المسلمين فهذه ردة صريحة إن كان ذلك عن رغبة ورضا من المسلم أما المضطر فحكمه حكم المكره.
٣- التشبه المطلق بالكفار في أعمالهم ولباسهم وقصات شعرهم ومساكنتهم والتردد على كنائسهم ومعابدهم وحضور أعيادهم.
٤- التشبه بهم في أمر يوجب الخروج من دين الإسلام كلبس الصليب.
٥- زيارة معابدهم اعتقادًا أنها تقرب إلى الله تعالى.
٦- الدعوة إلى وحدة الأيان أو التقريب بين الأديان.
٧- موالاة الكفار بإعانتهم على المسلمين سواء بالقتال معهم أو إعانتهم بالمال والسلاح فإن كان هذا إعانة محبة

لهم ورغبة في ظهورهم على المسلمين فهذا كفر مخرج من الملة، أما إن كانت إعانتهم على المسلمين لمصلحة شخصية أو خوف أو عداوة دنيوية فهذه كبيرة من الكبائر.

ب) الموالاة غير الكفرية لكنها من كبائر الذنوب:
١- محبة الكفار واتخاذهم أصدقاء.
٢- الاستيطان الدائم في بلاد الكفار.
٣- السفر إلى بلاد الكفر في غير حال الحاجة، أما إن كانت هناك حاجة كعلاج أو تجارة أو دراسة أو دعوة فتجوز وفق شروط:
أ) يكون الذاهب عنده علم بأمور دينه ودراية بالأمورالنافعة والضارة.
ب) أن يكون في مأمن وبعد عن أسباب الفتنة في الدين والخلق.
ج) أن يكون قادرًا على إظهار شعائر دينه.
٤- مشاركة الكفار في أعيادهم الدينية كرأس السنة ومولد المسيح بزعمهم. فيحرم الحضور والتهنئة.
٥- التشبه بهم فيما هو خاص بهم مما يتميز به الكافر عن المسلم.
٦- تركهم إظهار شعائر دينهم بين المسلمين أو تركهم يبنون معابدهم الوثنية في بلاد المسلمين أو تركهم إظهار المعاصي بين المسلمين كالتعري وشرب الخمور.
٧- السكن مع الكافر.
٨- اتخاذهم بطانة بأن يجعلهم من خاصته ممن يطلعهم على بواطن أموره الخاصة واستشارته في ذلك أو في أمور المسلمين. انظر [شرح تسهيل العقيدة الإسلامية (ص ٥٦٥) وما بعدها]

وذكر الشيخ محمد رحمه الله تعالى الموالاة وأهل العلم يفرقون بين مصطلح الموالاة والتولي:
فالموالاة قد تكون كفرًا وقد تكون كبيرة من الكبائر فالأصل فيها أنها كبيرة، أما التولي فهي لا تكون إلا كفرًا مخرجًا من الملة.
ومعنى الموالاة: إظهار المحبة والمودة والنصرة لأعداء الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم من المنافقين والكفار والمشركين، أو اتخاذهم أولياءً – يعني أنصارًا - بدلًا من المؤمنين.
فهذا الأصل أنه كبيرة من كبائر الذنوب وقد توصل صاحبها إلى الردة بحسب الحالات.
قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: 144).
فناداهم باسم الإيمان ونهاهم عن موالاتهم للكفار.

أما التولي: فهو الانحياز الكامل إلى الكفار أو المنافقين، والرضا بدينهم، أو الرضا بدخول دينهم. فهذا خروج من الإيمان إلى الردة والعياذ بالله.
قال الله سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: 51).
فأخبر سبحانه أنه من تولى الكفار فهو منهم.

ومن الفروق بين الموالاة والتولي:
من ناحية النية والعمل: فالتولي يتضمن اعتقادًا قلبيًا بانحياز تام للكفار، وأما الموالاة قد تقتصر على أفعال ومواقف دون اعتقاد، يراد منها مصلحة دنوية.
من ناحية الحكم الشرعي: فالموالاة كبيرة محرمة وقد تصل للكفر، والتولي كفر أكبر مخرج من الملة.

وهذه المسألة الثالثة تعتبر كالتابع للمسألتين السابقتين، بمعنى أنك إن علمت وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تصرف العبادة لغير الله ترتب على ذلك وجوب البراءة من المشركين، فتوحيدك لا يصح ولو كنت تصرخ ليلًا ونهارًا بلا إله إلا الله ما لم تتبرأ من المشركين وتتبرأ من شركهم، إذن لا بد من أن تحقق التوحيد وتحقيق التوحيد يكون بإفراد الله سبحانه بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى:" هذه الثلاث مسائل من المهمات العظيمات:
الأولى: أن يعلم المرء الغاية من خلقه، وإذا علم الغاية، يعلم الطريق الموصلة لإنفاذ هذه الغاية.
الثانية: أن يعلم أن الطريق واحدة، وأن الله عز وجل لا يرضى الشرك به، حتى بالمقربين عنده، والذين لهم المقامات العالية عنده عز وجل، لا يرضى أن يشرك معه أحد.
الثالثة: ألا يكون في قلب الموحِّد الذي وحَّد الله، وأطاع الرسول، وخلص من الشرك، ألا يكون في قلبه محبة للمشركين" اهـ [شرح ثلاثة الأصول (ص٤٤)]

قال الإمام رحمه الله تعالى:" اعْلَمْ: أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ! وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.
وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.
وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]" اهـ.

الشرح:
أرشدك الله: دعاء لك بأن يجعلك الله على طريق الرشد وهو الاستقامة على طريق الحق.
الحنيفية: الحنيف في اللغة بمعنى الميل والإنحراف عن الشيء إلى شيء آخر. وأما في التعريف الشرعي فهي بمعنى الميل والإقبال الشديد على الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله، فالحنيفية هي الملة المائلة عن الشرك.
وهي بهذا ترادف معنى الإسلام فالإسلام هو الحنيفية والحنيفية هي دين الإسلام، وذكر المصنف رحمه الله تعالى أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنها ذكرت مضافة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن فأحب المصنف أن يعبر بما عبر به القرآن فعلى هذا الاعتبار ذكرها المصنف موافقة للسياق القرآني

قال الله عز وجل ﴿وَقالوا كونوا هودًا أَو نَصارى تَهتَدوا قُل بَل مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]
وقال ﴿ما كانَ إِبراهيمُ يَهودِيًّا وَلا نَصرانِيًّا وَلكِن كانَ حَنيفًا مُسلِمًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]
وقال ﴿قُل صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعوا مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]
وقال ﴿وَمَن أَحسَنُ دينًا مِمَّن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبراهيمَ خَليلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وقال ﴿ثُمَّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [النحل: ١٢٣]

وليس معنى ذلك أن بقية الأنبياء والرسل ليسوا حنفاء بل الحنيفية هي دين الأنبياء والرسل جميعا من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، لكن أضيفت إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنه إمام الموحدين كما قال الله سبحانه ﴿إِنَّ إِبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتًا لِلَّهِ حَنيفًا وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكينَ﴾ [النحل: ١٢٠]
قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:" يخبر تعالى عمَّا فَضَّلَ به خليلَه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وخصَّه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فقال: ﴿إنَّ إبراهيم كان أمَّةً﴾؛ أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير هاديًا مهتديًا، ﴿قانتًا لله﴾؛ أي: مديمًا لطاعة ربِّه مخلصًا له الدين، ﴿حنيفًا﴾: مقبلًا على الله بالمحبَّة والإنابة والعبوديَّة، معرضًا عمَّن سواه. ﴿ولم يَكُ من المشركين﴾: في قولِهِ وعمله وجميع أحواله؛ لأنَّه إمام الموحدين الحنفاء." اهـ

ومقصود الحنيفية هو كما قال المصنف: عبادة الله وحده مخلصًا له الدين.
و**العبادة لغة:** بمعنى التذلل والخضوع والطاعة.
والعبادة شرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله سبحانه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.
فالعبادة تشمل:
العبادة القلبية مثل الإيمان والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة وسائر الأعمال التي محلها القلب.
والعبادة القولية مثل الذكر والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن وسائر الأعمال اللفظة التي محلها اللسان.
والعبادة الفعلية مثل الصلاة والصيام والجهاد والزكاة والحج.
وتشتمل كذلك على **عبادات عامة** كالأخلاق الحسنة من الصدق والكرم والجود والحلم والأناة والحكمة والعقل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والإخلاص: هو تصفية الشيء مما يشوبه، وفي التعريف الشرعي: هو تصفية العمل من الرياء والشرك بحيث يكون القصد من العبادة هو رضا الله سبحانه وحده دون أحد من الخلق.
ثم استدل المصنف بدليل على أن الله تعالى أمرنا بأن نكون على الملة التوحيدية الحنيفية بقوله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ." اهـ
الشاهد قوله: إلا ليعبدون، فاللام في كلمة ليعبدون تفيد التعليل أو الغاية، أي العلة أو الغاية التي خلق الله عز وجل منها الإنس والجن وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، فهي الهدف الأساسي من خلقهم وإيجادهم من العدم.

وقد فسر المصنف العبادة هنا بقوله يوحدون، وتوحيد الله سبحانه هو من أخص خصائص العبادة يعني هي جزء من أجزاء العبادات التي أمر الله بها فالتوحيد أعظمها وأجلُّها وأهمها وبدونه لا تقبل سائر الأعمال.
قال الله سبحانه ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اعبُدوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم وَالَّذينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقونَ﴾ [البقرة: ٢١]
قال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره: " ﴿اعْبُدُوا﴾ وَحِّدُوا.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهَا التَّوْحِيدُ ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ "اهـ

وقول المصنف رحمه الله تعالى:" وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.
وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]" اهـ
فوجه الأعظمية هنا: أن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ذكر في قوله تعالى ﴿وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا وَبِذِي القُربى وَاليَتامى وَالمَساكينِ وَالجارِ ذِي القُربى وَالجارِ الجُنُبِ وَالصّاحِبِ بِالجَنبِ وَابنِ السَّبيلِ وَما مَلَكَت أَيمانُكُم إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُختالًا فَخورًا﴾ [النساء: ٣٦]
فذكر فيها عشرة حقوق ابتدأها بالأمر بعبادة الله أي توحيده والنهي عن الشرك ثم بقية الحقوق تبعًا، دلالةً على أهميته وأعظميته، ولا يبدأ الله تعالى إلا بالأمر الأهم ثم الأهم، فدل على أن الأمر بالتوحيد من أعظم ما أمر العبد بفعله والنهي عن الشرك من أعظم ما أمر بتركه، فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية.

وأما التوحيد فقد ذكر المصنف معناه أنه إفراد الله بالعبادة.
وهذا تعريف خاص يراد به ما يسمى بتوحيد العبادة ويقال توحيد الألوهية.
أما المعنى الأعم **فالتوحيد** هو: إفراد الله تعالى بما يختص به.
فإذا أردنا التفصيل فنقول:
التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد توحيدًا بمعنى جعل الشيء واحدًا.
والتوحيد شرعًا: التوحيد هو إفراد الله تعالى بما يختص به، وهو ثلاثة أنوع:
- **توحيد الربوبية**: وهو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير.
- **توحيد الألوهية أو العبودية**: وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التعبدية كالإخلاص والصلاة والصيام والزكاة والحج والدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والرهبة والخشية إلى آخر ما ورد من كونه عبادة لا تكون إلا الله تعالى فمن جعل منها شيئًا لغير الله فقد وقع في شرك الألوهية، وهذا النوع هو الذي بعث الله تعالى إليه الرسل إلى أقوامهم فمعترك الخلاف بين الأنبياء والرسل في التوحيد مع قومهم هو هذا النوع.
- **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الأسماء والصفات.
***فالأسماء**: هي الألفاظ التي أطلقها الله تعالى على نفسه أو أطلقها عليه رسوله صلى الله عليه وسلم مثل الرحمن الرحيم العزيز السميع الحكيم.
***والصفات**: هي الأوصاف التي اتصف الله عز وجل بها كالعلم والقدرة والخلق والاستواء والعلو والسمع والبصر والغضب والضحك والعلو والنزول.

فحقيقة هذا النوع: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى

والصفات العليّة على وجه يليق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.
ومن العلماء من يجعل التوحيد على نوعين:
الأول: توحيد المعرفة والإثبات، وهذا يدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، حسب التعريف الذي ذكرناه.
الثاني: توحيد الطلب والقصد، وهذا هو توحيد الألوهية.

وهذه التقسيمات دليلها الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، ومن السور التي اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة سورة الفاتحة، فقوله: الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين= دليل على الربوبية.
إياك نعبد وإياك نستعين= دليل على الألوهية.
الله، والرحمن والرحيم، ومالك يوم الدين= دليل على الأسماء والصفات.

وأما **الشرك:** فكما قال المصنف في تعريفه هو دعوة غيره معه، فجعل شيء من العبادة لغير الله تعالى من الشرك.
والشرك ينقسم إلى قسمين:
شرك أكبر: وهو جعل شيء من العبادة لغير الله تعالى.
شرك أصغر: "هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركًا كالحلف بغير الله". اهـ
[فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٨)]

ومن الأحكام المترتبة على الشرك الأكبر والأصغر:
الشرك الأكبر: من وقع من المسلمين في الشرك الأكبر فقد خرج عن الملة وجميع أعماله حابطة، إن مات فلا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُدفن في مقابر المسلمين ولا يُصلّى عليه ولا يُترحم عليه ولا يُستغفر له، ولا يُصلى خلفه ولا تصح صلاته لنفسه، ولا يرث ولا يورث، ويفرق بينه وبين زوجه – حال حياته-، ودمه وماله مباح – للسلطان ومن أنابه- ولا تحل ذبيحته.
الشرك الأصغر: من وقع من المسلمين في الشرك الأصغر لا يَخرج من الملة ولا تحبط أعماله إلا التي لابسها بشرك، ويُغسّل ويُكفّن ويُدفن في مقابر المسلمين ويصلّى عليه ويُترحم عليه ويُستغفر له إن مات، ويُصلّى خلفه – مع الكراهة- وتصح صلاته التي لم يتلبس فيها بشرك، ويرث ويورث ولا يُفرق بينه وبين زوجه ولا يُباح دمه ولا ماله، وتحل ذبيحته ما لم يتلبس فيها بشرك.

فلخطورة الشرك حذر منه ربنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وبين ما يترتب عليه.
فقال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ وَمَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَدِ افتَرى إِثمًا عَظيمًا﴾ [النساء: ٤٨].
وقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ وَمَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد ضَلَّ ضَلالًا بَعيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال عز شأنه ﴿وَإِذ قالَ لُقمانُ لِابنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشرِك بِاللَّهِ إِنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

وقال ﴿وَلَقَد أوحِيَ إِلَيكَ وَإِلَى الَّذينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال ﴿.... وَلَو أَشرَكوا لَحَبِطَ عَنهُم ما كانوا يَعمَلونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].
وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» [البخاري (ح٦٨٦١) مسلم (٨٦)] فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك قوله سبحانه ﴿وَالَّذينَ لا يَدعونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلا يَقتُلونَ النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلّا بِالحَقِّ وَلا يَزنونَ وَمَن يَفعَل ذٰلِكَ يَلقَ أَثامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]

وقال ﴿.... فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ أَندادًا وَأَنتُم تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٢]
وقال ﴿قُل تَعالَوا أَتلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلّا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا ...﴾ [الأنعام: ١٥١]
وقال ﴿لا تَجعَل مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقعُدَ مَذمومًا مَخذولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]
وقال ﴿فَلا تَدعُ مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَكونَ مِنَ المُعَذَّبينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]
وقال تعالى ﴿حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيرَ مُشرِكينَ بِهِ وَمَن يُشرِك بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخطَفُهُ الطَّيرُ أَو تَهوي بِهِ الرّيحُ في مَكانٍ سَحيقٍ﴾ [الحج: ٣١]
فهذه الآيات وغيرها كثير تبين لك خطورة الشرك ووصفه بالظلم والضلال ويترتب عليه حبوط الأعمال واستحقاق الخلود في النار والذل والهوان على فاعله.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر...» إلخ الحديث، [البخاري (ح٢٧٦٦) مسلم (٨٩)].

قال المصنف رحمه الله تعالى:" (فَإِذَا قِيلَ لَكَ): مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ." اهـ

الشرح: لما بيّن المصنف رحمه الله تعالى أن العباد مخلوقون لعبادة رب العباد، بيّن لك هذه الأصول الثلاثة التي بمعرفتها يمكنك عبادة الله سبحانه وتعالى فلا يمكنك أن تقوم بالعبادة إلا بمعرفة ثلاثة أمور: بمعرفة المعبود الذي تعبده، ومعرفة كيفية إيقاع العبادة وهو الدين، ومعرفة المبلغ لهذا الدين وهو الرسول.
فذكر هذه الأصول الثلاثة إجمالًا ثم شرع في تفصيل.
والأصول جمع أصل: والأصل هو الأساس الذي يبنى عليه غيره، فالمعنى أن عبادتك مبنية وقائمة على معرفة هذه الأصول الثلاثة، فإن اختل أحدها اختل الأساس عندك فبطلت عبادتك وفسدت.

فبدأ المصنف بالأصل الأول وهو معرفة الله سبحانه، قال:
"(فَإِذَا قِيلَ لَكَ): مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وكل ما سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ): بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ - الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة." اهـ

الشرح:

الرب: من التربية والإصلاح والتدبير، فالله هو المربي لجميع العالمين من خلقه، فهو الذي يربيهم بنعمه، وهو مالكهم وسيدهم ورازقهم ومدبر أمورهم، ولا يكون الرب ربًا إلا إن اتصف بهذه الصفات الأساسية:

الخلق: فالرب هو الذي يخلق كل شيء ويوجده من العدم، والله سبحانه هو الرب لأنه أوجد هذه المخلوقات من عدم ولا شريك له في ذلك قال الله عز وجل ﴿قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ قُل أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلا ضَرًّا قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ أَم جَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقوا كَخَلقِهِ فَتَشابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ﴾ [الرعد: ١٦] وقال سبحانه ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]

الملك: فالله سبحانه له الملك المطلق فهو ملك الملوك وملك الأملاك فكل شيء ملك له سبحانه ولا يملك أحد شيئًا إلا بإذنه ويكون ملكه مقيد، قال الله سبحانه ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلكِ تُؤتِي المُلكَ مَن تَشاءُ وَتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]

التدبير: فالله سبحانه هو مدبر أمور الخلائق، فهو الذي يرزقهم ويهديهم ويضلهم ويحيهم ويميتهم ويفعل ما شاء من تدبير أمورهم، قال الله عز وجل ﴿يُدَبِّرُ الأَمرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرضِ ثُمَّ يَعرُجُ إِلَيهِ في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ أَلفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ﴾ [السجدة: ٥]

وجمعت الآية الآتية هذه الصفات الثلاث الدالة على أن الله هو الرب إذ قال تعالى ﴿قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ﴾ [يونس: ٣١]

فإذا تقرر هذا أن الله هو الرب لأنه الخالق المالك الرازق المحيي المميت لا يشاركه في ذلك، إذن لزم أن لا تكون العبادة إلا له سبحانه وتعالى، والذي لا يتصف بهذه الصفات فهو ناقص لا يستحق شيء من العبادة.

فإذا سُئلت أيها المسلم من ربك فالجواب أن ربنا هو الله الواحد الأحد -وفق التقرير الذي ذكرناه-، ثم ذكر الشيخ الدليل على ذلك:" وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وكل ما سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ. "اهـ.

فهذه الآية فيها دلالة على الله عز وجل، فهو رب كل العوالم الإنس والجن والملائكة وجميع المخلوقات، وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم ومدبر أمورهم ولا يخرج شيء عما دون الله إلا وهو مخلوق لله سبحانه.

واسم **الله:** هو الاسم الخاص بذاته سبحانه، بمعنى المألوه أي المعبود، فهو المعبود بحق الذي لا يستحق العبادة إلا هو، وكل الأسماء تبعًا لهذا الاسم ولا يتسمى به أحد غيره، وهو اسم جامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ثم بين المصنف رحمه الله تعالى الدليل المرشد إلى معرفة هذا الرب الإله الذي لا يستحق العبادة إلا هو، كيف السبيل إلى معرفته؟ ما هو الطريق الموصل لذلك؟ فلو سألك سائل فقال كيف عرفت ربك الذي تعبده؟

فقل: بآياته ومخلوقاته، أي بالتفكر في آيات الله الكونية، والتدبر في آياته الشرعية، والمخلوقات هي بعض آيات الله سبحانه لذا عطف المصنف بقوله بآياته ومخلوقاته وهذا من باب عطف الخاص على العام.

والآيات جمع آية: بمعنى العلامة، وتنقسم إلى قسمين:

آيات كونية: وهي المخلوقات والظواهر في الكون التي تشير إلى وجود موجد أوجدها، كالليل والنهار والشمس والقمر، والسماوات وما فيها والأرض وما فيها، فهذه كلها تسمى آيات كونية

وآيات شرعية: وهي ما أنزله الله على رسله من الوحي؛ وتسمى آيات لأنها دلائل على صدق الوحي وهداية الله سبحانه، قال تعالى ﴿وَلَقَد أَنزَلنا إِلَيكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكفُرُ بِها إِلَّا الفاسِقونَ﴾ [البقرة: ٩٩]

وموجب تفريق الإمام رحمه الله تعالى بين الآيات والمخلوقات بالرغم أن «الآيات الكونية» مخلوقات الله سبحانه مراعاة للسياق القرآني، فإن الليل والنهار والشمس والقمر ذكرت في «السياق القرآني» بأنها آيات، وأما السماوات والأرض ذكروا بأنهم مخلوقات، كما نلاحظ في الآيات التي استدل بها، قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ....﴾ [فصلت: ٣٧] فوصف الليل والنهار بالآيات.

ولما ذكر السماوات والأرض قال ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾ [الأعراف: ٥٤]

كذلك من آيات الله تعالى البرق ونزول المطر قال سبحانه ﴿وَمِن آياتِهِ يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحيي بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ﴾ [الروم: ٢٤]

ومن آياته إرسال الرياح فقال سبحانه ﴿وَمِن آياتِهِ أَن يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذيقَكُم مِن رَحمَتِهِ وَلِتَجرِيَ الفُلكُ بِأَمرِهِ وَلِتَبتَغوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴾ [الروم: ٤٦]
وقال الله عز شأنه ﴿وَمِن آياتِهِ الجَوارِ فِي البَحرِ كَالأَعلامِ﴾ [الشورى: ٣٢] الجوار أي السفن، كالأعلام أي كالجبال.
قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: " يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجواري في البحر كالأعلام؛ أي: كالجبال، قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك: أي: هذه في البحر كالجبال في البر"اهـ
إلى غير ذلك من الآيات التي من تفكر فيها= أذعن وأقر بوجود الله سبحانه وقدرته وعظمته وسلطانه.
وقد ذكر المصنف ثلاث آيات تستدعي التدبر والتفكر فيها توصل إلى يقين بوجود الرب، وقد نهى أن يُسجد للشمس والقمر، لأنهما مخلوقات لله، ناقصة ليس لها من الأمر شيء فهي لا تستحق شيء من العبادة، والسجود عبادة فنهى الله سبحانه وتعالى عن السجود لهما كما كان يفعل المشركون الأوائل بعبادتهم للكواكب، فالخالق لها الموجد له أولى بالسجود له وعبادته.

ثم بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الرب هو المعبود أي هو المستحق للعبادة وليس معنى ذلك أن معنى الرب أي المعبود، لأنه كما سبق في بيان معنى الرب الخالق المالك المدبر أمر مخلوقاته، والله أمر بعبادته وبين وجه استحقاقه وحده لا شريك له بالعبادة بأنه هو الذي خلقنا وخلق من قبلنا وهو الذي جعل لنا الأرض ممهدة وميسرة نستمتع فيها، وجعل السماء فوقنا بناء كالسقف المحفوظ لأهل الأرض، وهو الذي أنزل من السماء ماء ليحيي الأرض ويخرج فيها من الثمرات رزقًا لنا، فإن تبين ذلك فلا يجوز أن نجعل له أندادًا أي شريكًا مماثلًا مساويًا له نعبدهم كما نعبد الله أو نعبدهم من دون الله مع أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت ومالك كل شيء ومدبر أمر الخلائق فإن هذا من أكبر الظلم وهو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى :" وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا للهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]
فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]" اهـ

الشرح:
شرع المصنف ببيان العبادة التي لا تكون إلا لله سبحانه فذكر من ناحية الإجمال: الإيمان والإسلام والإحسان، فهذه من العبادة من الناحية الإجمالية وهي من مراتب الدين وسيأتي الكلام عليها في الأصل الثاني، ثم فصّل بذكر ما عِدته أربعة عشر عبادة من باب التمثيل لا الحصر فالعبادات أكثر من المذكورات، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن العبادة وأنواعها في كتابه النافع «العبودية».
وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى كل عبادة مقرونة بدليلها الدال على أنها عبادة لله

سبحانه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن لا تكون العبادة إلا لله وحده كما قال ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فلا تدعوا مع الله أحدا أي فلا تعبدوا مع الله أحدا، وهذا أمر منه سبحانه بأن تكون العبادة محصورة له.

فإن تبين أن تلك المذكورات عبادة، فلا يجوز حينها أن تُجعل لغير الله سبحانه وتعالى ومن فعل ذلك فكما قال الشيخ:" فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر" اهـ واستدل على ذلك بقوله سبحانه ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الشاهد منه أنه أخبر بعدم فلاح من يعبد غير الله فحكم عليه بالكفر.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" وَفِي الْحَدِيثِ «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

وفي الحديث: «إِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق.. قل أعوذ برب النَّاسِ - مَلِكِ النَّاسِ﴾

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]

وَمِنَ السُنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] " اهـ

الشرح:

ابتدأ بالدعاء لأنه من أعظم أنواع العبادة، فما هو الدعاء؟

١- الدعاء: هو طلب العبد من الله تعالى الخير أو دفع الشر بعبارة أو نية مع التضرع والافتقار.

وينقسم إلى:

*دعاء عبادة: كالثناء على الله والتسبيح والأذكار والصلاة والصيام والحج والذبح إلى غير ذلك من العبادات فكلها يقال عنها دعاء عبادة.

*دعاء مسألة: سؤال الله الحاجات كالرزق، والهداية، والمغفرة.
وذكر المصنف الدليل على أن الدعاء عبادة حديث وآية "وَفِي الْحَدِيثِ «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»" وهو بهذا اللفظ فيه ضعف وقد صح بلفظ «الدعاء هو العبادة» أي هو رأس العبادة وأساسها، فدل هذا على أن الدعاء لا يكون إلا لله سبحانه، وأما الآية ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فوجه الدلالة أمره بدعائه وأن الذي لا يدعوه مستكبر عن عبادته فهذا يدل على أن الدعاء عبادة لا تكون إلا لله والمعرض عن دعاء الله مستكبر عن عبادة الله والمستكبر عن عبادة الله كافر.

٢- الخوف: هو اضطراب النفس من توقع مكروه أو عقوبة.
وينقسم إلى نوعين:
خوف ممدوح: وهو الخوف من الله سبحانه كالخوف من عقابه في الدنيا والآخرة، أو الخوف من الوقوع في المعصية أو التقصير في العبادة، ومن آثار هذا النوع إن صاحبه المحبة والرجاء: أن يقرب العبد من الله سبحانه ويزيد من إيمانه.
خوف مذموم: وهو الذي يخرج عن الحد الشرعي فيؤدي إلى الشرك بالله كالخوف من الميت أو ممن يزعم أنه ولي من أولياء الله بعيد عنه بأن يصيبه بأذى ومكروه، أو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، أو من ترك واجب من الواجبات الشرعية كالجبن الذي يترتب عليه ترك الجهاد في سبيل الله.

وهناك خوف طبيعي كالخوف من عدو أو حيوان مفترس أو خوف على الأهل والأولاد.

وقد استدل المصنف رحمه الله على أن الخوف عبادة بقوله سبحانه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فأمر بالخوف منه لا من أولياء الشيطان، والأمر يدل على الوجوب إذن هو عبادة، وقد مدح الله الخائفين منه بقوله ﴿يَخافونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفعَلونَ ما يُؤمَرونَ﴾ [النحل: ٥٠]

3. الرجاء: أمل العبد لرحمة الله ومغفرته مع العمل الصالح.
وينقسم إلى:
رجاء محمود: مصحوب بالعمل الصالح.
رجاء مذموم: أمنية وأمل بلا عمل (تسويف).
وقد استدل المصنف على أن الرجاء عبادة بقوله سبحانه ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ والرجاء لا بد أن يكون مقرونًا بالعمل الصالح، والعمل الصالح مبني على الإخلاص لله والمتابعة لرسوله وبالتالي فحصول المأمول للعبد لا يتحقق إلا بتحقيقه لهذا الأمر وهو عبادة.

4. التوكل: تفويض الأمر إلى الله مع الأخذ بالأسباب والثقة بتدبيره في جلب منفعة أو دفع مضرة.
ووجه الدلالة من الآيتين: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيها حصر التوكل على الله وجعل شرط الإيمان وصحته التوكل على الله لا على غيره، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فمن يفوض أمره إلى الله سبحانه فهو كافيه.

5. الرغبة: تطّلع القلب إلى نيل رحمة الله وثوابه محبةً له ورجاءً.
6. الرهبة: خوف شديد من الله يقترن بالتعظيم والإجلال.
7. الخشوع: سكون القلب وانكساره لله مع الخضوع والتذلل.

وقد استدل عليها ثلاثتها بآية واحدة مجموعة في قوله سبحانه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ إنهم أي الأنبياء، يتسابقون إلى الخيرات ويبادرون إليها، ويدعون الله رغبًا أي طمعًا ورهبًا أي خوفًا منه، خاشعين له أي خاضعين متذللين متواضعين لله سبحانه، وهذه الأنواع الثلاثة من أنواع العبادة لله سبحانه.

8. الخشية: خوف مقرون بالعلم والعمل.

ووجه الدلالة من الآية ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، أنه أمر بخشيته، والأمر يدل على الوجوب فدل على أن خشية الله واجبة، وإنما تتحقق الخشية مع العلم كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

9. الإنابة: رجوع العبد إلى الله بالتوبة والطاعة الدائمة محبةً وخوفًا ورجاءً.

ووجه الدلالة من الآية ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، فيها الأمر بالإنابة إلى الله تعالى أي الرجوع إليه بالتوبة والطاعة، والأمر يدل على الوجوب فدل على أن الإنابة عبادة.

10. الاستعانة: طلب العون -أي المساعدة- من الله في الطاعات والأمور.

وقد ذكر للدلالة على أنها عبادة آية وحديث ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها حصر الاستعانة بالله كما حصر العبادة له بقوله إياك نعبد.

وفي الحديث: «إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» فيها الأمر بالاستعانة بالله وحصرها به فدل على أنها واجبة والواجب لا يكون إلا في عبادة.

11. الاستعاذة: طلب العوذ – أي الحماية- وهو اللجوء إلى الله لطلب الحماية من الشر.

ووجه الدلالة من الآيتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق.. ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فيها الأمر بالاستعاذة بالله، والفلق أي الصبح فاستعذ برب الفلق ورب الناس وهو الله سبحانه، ففيها صيغة أمر والأمر يدل على الوجوب.

12. الاستغاثة: طلب الغوث -أي المساعدة في الشدة- من الله في الشدائد.

ووجه الدلالة من الآية ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ أن الغوث في الشدائد إنما يطلب من الله سبحانه لأنه لا يقدر عليها -أي المساعدة-، إلا هو جل وعلا فدل على أنها عبادة من هذا الوجه.

والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة تجوز من مخلوق بثلاثة شروط:

أن يكون حيًا، حاضرًا، قادرًا، فإن لم تتوفر هذه الشروط فلا يجوز الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بالمخلوق.

13. الذبح: هو قطع الحلقوم والمريء من بهيمة الأنعام تقربًا إلى الله تعالى على صفة معلومة.

وينقسم إلى:

أ) ذبح مشروع فمنه ما هو **ذبح واجب** كذبح الأضاحي والهدي والكفارات، وتكون من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم).

ومنه ما هو **ذبح مستحب** كذبح العقيقة أو ذبح للضيافة أو الصدقة بنية التقرب إلى الله عز وجل، والذبح شكرًا لله سبحانه على نعمة حصلت كنجاح أو شفاء.
ومنه ما هو **ذبح مباح** كذبح بهيمة الأنعام للأكل والتجارة والبيع.
وشروط ذلك أن يذكر اسم الله تعالى على الذبيحة مع قطع الحلقوم ويكون الحيوان حلالًا والذابح مسلمًا.
ب) ذبح غير مشرع:
- كالذبح الشركي بأن يذبح لغير الله تعالى تقربًا إليهم كالذبح للأصنام والأولياء والأضرحة والقبور والجن والشياطين.
- كالذبح بغير اسم الله بترك التسمية قصدًا، أو بتسمية اسم مخلوق بدلًا من الله تعالى.
- كالذبح بطريقة محرمة كذبح الحيوان بالخنق أو الضرب أو الصعق.
- كالذبح بنية محرمة كالذبح للرياء والسمعة أو لعادات وتقاليد غير شرعية.
وقد ذكر المصنف آية وحديث للدلالة على أن الذبح عبادة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقد ذكر النسك وهو الذبح مقرونًا بالصلاة وهي عبادة فدل على أن النسك= الذبح عبادة لا يكون إلا لله سبحانه لا شريك له.

وأما الحديث "وَمِنَ السُنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»." فوجه الدلالة الدعاء باللعن -وهو الطرد من رحمة الله تعالى وهذا لا يكون إلا على أمر عظيم- لمن جعل عبادة الذبح لغير الله.

14. النذر: إلزام العبد نفسه نفلًا معينًا غير معلق.
نفلًا خرج منه الفرض، معين خرج منه المبهم، غير معلق خرج به ما كان على وجع العِوَضِ والمقابلة.
وهو ينقسم بناءً على الحكم الشرعي إلى:
* النذر المشروع: وهو نذر الطاعة بأن يلزم نفسه بصيام أو صلاة نفل أو صدقة بقدر معين إن حصل له مراده كشفاء مريضه أو نجاح ولده أو حصوله على وظيفة ونحو هذا، فهذا يجب الوفاء به إن تحقق الشرط الذي اشترطه ويلزمه الوفاء فإن تعذر الوفاء بالنذر لعذر شرعي، يكفر كفارة يمين.
*النذر المحرم: وهو نذر المعصية: وهو نذر بفعل محرم كالقتل أو السرقة أو شرب الخمر، وحكمه أنه محرم لا يجوز الوفاء به ويجب به كفارة يمين.
*نذر اللجاج والخصام والغضب: وهو نذر يصدر في حال الخصومة أو الغضب الشديد بهدف التهديد أو المنع ولا يراد به التقرب إلى الله تعالى. وحكمه أنه لا يلزم الوفاء به وفيه كفارة يمين.
وهناك تفاصيل أخرى في هذه المسألة تراجع في مظانها، والأصل في النذر أنه مكروه، وأنه لا يستخرج إلا من البخيل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا تَنْذِرُوا، فإنَّ النَّذْرَ لا يُغْنِي مِنَ القَدَرِ شيئًا، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ» [البخاري (ح٦٦٩٤) مسلم (١٦٤٠) واللفظ له].

وقد ذكر المصنف آية على أن النذر عبادة ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ووجه الدلالة منها

أن الله تعالى أثنى عليهم لوفائهم بالنذر وهذا يدل على محبة الله سبحانه له وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة.

قال الإمام المصنف رحمه الله تعالى:" الأَصْلُ الثَّانِي مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ
وَهُوَ الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادُ لهُ بالطاعةِ، والبراءةُ والخُلُوصُ من الشِّرك. وأهلِهِ.
وهو ثلاثُ مراتب: (الإسلام) و(الإيمان) و(الإحسان)." اهـ

الشرح:
لما انتهى المصنف من بيان الأصل الأول وهو معرفة الله سبحانه، شرع في بيان الأصل الثاني وهو الدين مقرونًا بالأدلة، وبين أن الدين له ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.
فالإسلام: متعلق بالأعمال الظاهرة.
والإيمان: متعلق بالأعمال الاعتقادية الباطنة.
والإحسان: هي مرتبة إتقانهما، بمعنى أن من أتى بالأعمال الظاهر والباطنة على الوجه المطلوب يصل إلى رتبة الإحسان وهي عبادة الله عز وجل كأنك تراه.

والدين بالمعنى العام: هو مجموعة عقائد وعبادات وأخلاق يَتعبد -أي يتقرب- بها العبد لربه، بهدف تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبالمجتمع ليتحقق سعادة الدارين الدنيا والآخرة.
فهو يشتمل على عقائد مثل: الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
وعلى عبادات: كالصلاة والزكاة والصوم والحج والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إلخ.
وعلى أخلاق: كالصدق والأمانة والكرم والشجاعة.

والدين بالمعنى الخاص يراد به الإسلام فما هو الإسلام؟
عرفه الشيخ بقوله: "الإسلام هو الاستلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله".
فهذا هو الإسلام بالتعريف الشرعي، وبالتالي فجميع الأنبياء والرسل من أبينا آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلهم جاؤا بالإسلام ولم يأتوا بما يُسمى بالأديان السماوية كاليهودية والنصرانية، فهذه أديان كفرية محرفة لا يجوز التعبد بها ولا نسبتها للأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل دينهم واحد لكن شرائعهم – أي أحكام الحلال والحرام وتفاصيل الأوامر والنواهي من الأحكام الشرعية- تختلف، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أَوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مَريَمَ في الدُّنيا والآخِرةِ، والأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهاتُهم شَتَّى، ودِينُهم واحِدٌ.» [البخاري (ح٣٤٤٣) ومسلم (ح٢٣٦٥)]. إخوة لِعَلَّات أي الذين أبوهم واحد، وأمهاتهم شتى، وهذا من التشبيه دلالة على وحدة الدين الذي أتى به الأنبياء والرسل وأن مصدره واحد ودلالته على واحد وهو الله سبحانه، وأمهاتهم شتى يعني شرائعهم تختلف فكل رسول جاء بشريعة تختلف عمن سبقه.

وحقيقة الإسلام الذي جاء به رسولنا صلى الله عليه وسلم: هي الأعمال الظاهرة أركان الإسلام الخمسة التي سيأتي الكلام عليها في موضعه، فحتى يصح إسلامك لا بد من أن تذعن وتقر وتسلّم بأنه لا معبود بحق يستحق العبادة إلا الله عز وجل، فإن أذعنت لذلك ترتب عليه الانقياد له بالطاعة والبعد عن المعصية بمعنى أن تأتي أوامر الله وتجتنب نواهيه التي نهاك عن فعلها وهي المحرمات، وكذلك البراءة والخلوص من الشرك وأهله، فتتبرأ من الشرك وأهله، وتُخلّص نفسك من الوقوع في الشرك الأكبر والأصغر والخفي، ولا يتحقق منك ذلك إلا بمعرفة التوحيد والشرك وكما قال القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيهِ * ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

فالانقياد لله بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله هي نتيجة وثمرة الاستلام لله تعالى بالتوحيد.

ثم شرع الشيخ ببيان أركان الإسلام مقرونة بدليلها فقال رحمه الله تعالى:

"وكل مرتبة لها أركان؛ فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ (خَمْسَةٌ)، والدليلُ من السُّنَّة حديثُ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإسلامُ على خمس، شهادةِ ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحَجِّ البيت».

والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الدّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقوله تعالى ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

ودَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ومعناها: لا معبُودَ بحقٍّ إلا اللهُ.

(لا إله): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

(إلا اللهُ): مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لا شَرِيكَ لهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ - إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ..﴾ الآية [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نَهَى وزَجَرَ، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]

ودَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

ودَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]" اهـ

الشرح:
بيّن المصنف أن مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان لها أركان، فأركان الإسلام خمسة وأركان الإيمان ستة، وركن الإحسان واحد.

والركن: هو ما يعُتمد عليه في قيام الشيء.
فوجود الدين عندك مبني على وجود هذه المراتب عندك، بمعنى أن من لم يأتِ بأركان الإسلام ولا أركان الإيمان أو أخل بها فهو ليس بمسلم، فلا بد أن يقوم الدين عندك بوجود هذه الأركان.
واستدل المصنف على أن الأركان خمسة بحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهو حديث متفق عليه شاهده: بُني الإسلام على خمس.. ثم ذكرها.
وكذلك من الأدلة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة مجيء جبريل عليه الصلاة والسلام – وسيأتي في آخر الباب-، ففيه ذكر أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة وركن الإحسان وهو واحد.

وأما قول المصنف رحمه الله تعالى والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]" اهـ

أي أن الدين الذي يجب اتباعه ولا يقبل الله تعالى غيره من الأديان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو دين الإسلام بالشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، فكل من تعبد الله سبحانه بغير هذا الدين الإسلامي فعبادته باطلة مردودة عليه وهو في الآخرة من الهالكين الخاسرين في نار جهنم ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

ثم سرد المصنف أركان الإسلام الخمسة بدليلها:
فالركن الأول: الشهادتان، ومعنى الشهادة: الإقرار بالشيء يقينًا كأنك تشاهده وتعاينه.
فكما أنك إن شاهدتَ شيئًا عَلِمتَ وأقررتَ يقينًا به، فكذلك ينبغي في الشهادتين بحيث أنك تقر إقرارًا جازمًا متيقنًا به كأنك تشاهده عَيانًا: أن لا معبود بحق يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول أرسله الله سبحانه وتعالى فهو معبود لا يُعبد ورسول لا يُكذب، فتطيعه فيما جاء به من الأوامر كالأمر بالتوحيد وفعل الطاعات، وتصدقه فيما أخبر كأخبار الأمم السابقة وبما ينزل عليه من الوحي من كلام الله سبحانه وبما يراه في المنام وبكل ما يقوله صلوات ربي وسلامه عليه، وتجتنب ما نهى عنه وأعظم ذلك الشرك بأقسامه الأكبر والأصغر والخفي والجلي، وسائر صوره وأنواعه، والمحرمات من الكبائر والصغائر، وأن لا تتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بأي عبادة إلا بعبادةٍ قد قالها وفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحقيقة إقرارك بشهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجتنب البدع ولا تتقرب إلى الله سبحانه بشيء منها، وقول المصنف: (إلا بما شرع) أي الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه هو المشرع، والنبي صلى الله عليه وسلم هو المبلغ ولا يقال المشرع.

كل ذلك كأنك تشاهده عيانًا وتصل فيه إلى مرحلة اليقين ولا تشك فيه طرفة عين، ويمكن أن نلخص فنقول أن المعنى الإجمالي لهذا الركن الأول: هو الاعتراف باللسان والقلب بأن الله هو المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره والبراءة من سائر المعبودات الباطلة وذلك ببغضها وبغض أهلها، وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله إلى الثَّقَلين الإنس والجن، نصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما يأمر، ونجتنب ما ينهى عنه، ولا نعبد الله سبحانه إلا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم".

وقد ذكر الشيخ رحمه الله معنى لا إله إلا الله وأنها تعني: لا معبود بحق إلا الله، أي لا معبود بحق يستحق العبادة إلا الله عز وجل، فإن هناك معبودات تُعبد من دون الله وهي معبودات باطلة لا تستحق من العبادة شيء، فتشهد وتقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى، أما من يفسر هذه الكلمة العظيمة بأنها تعني لا خالق إلا الله، أو لا رب إلا الله فإن هذه تعريفات ناقصة قد قال بها أهل البدع بسبب انحرافهم في معرفة حقيقة التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
وكذلك من الأخطاء في تعريفها القول بأنها تعني: لا معبود إلا الله، وهذا قصور، لأن معناها أن كل هذه المعبودات التي تعبد هي الله تعالى!
فالصواب أن يقال في معناها: لا معبود [بحق] إلا الله، أي لا معبود يستحق العبودية الحقة إلا الله الواحد الأحد، قال الله عز وجل ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ ما يَدعونَ مِن دونِهِ هُوَ الباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وقال سبحانه ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ ما يَدعونَ مِن دونِهِ الباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]

وهذه الجملة العظيمة تحتوي على ركنين كما قال المصنف رحمه الله نفي وإثبات، نفي بقولنا لا إله، وإثبات بقولنا إلا الله، فتنفي إلوهية كل معبودات تعبد من دون الله سبحانه، وتثبت العبودية والألوهية الحقة لله سبحانه وحده لا شريك له.
وقد استدل على أن هذه الكلمة فيها نفي وإثبات بآيتين.
الآية الأولى من سورة الزخرف الشاهد منها:
* إنني براء مما تعبدون= نفي.
* إلا الذي فطرني= إثبات.

والآية الثانية من سورة آل عمران الشاهد منها:
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ= فيها نفي وإثبات، ألا نعبد= نفي، إلا الله= إثبات، ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا= نفي، من دون الله= إثبات.
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ= هذه إثبات.

وليس كل من تلفظ بها كان محقق لمعناها لأنه يجب أن تتوفر سبعة شروط، وكما قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى:
وبسبعةِ شروطٍ قد قيدت * وفي نصوص الوحي حقًّا وردتْ

فـإنه لم ينتفع قائلها * بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقَبولُ * والانقيادُ فادرِ ما أقولُ
والصدق والإخلاص والمحبـهْ * وفقك الله لما أحبه

١- **العلم**: المنافي للجهل، فتعلم معناها والمراد منها نفيًا وإثباتًا.
٢- **اليقين**: المنافي للشك، فتكون مستيقنًا بمدلول الكلمة يقينًا جازمًا بأنه لا إله يستحق العبادة الحقة إلا الله.
٣- **القبول**: المنافي للإباء وهو الرفض والاستكبار، فتقبل بما جاءت به هذه الكلمة العظيمة بإفراد العبودية لله، وترك عبادة ما سواه واعتقاد بطلانها والبراءة منها وأهلها.
٤- **الانقياد**: المنافي للترك، فتنقاد لهذه الكلمة تمام الانقياد.
٥- **الصدق**: المنافي للكذب، فتقولها صادقًا من قلبك، مواطئًا قلبك للسانك.
٦- **الإخلاص**: المنافي للشرك، والإخلاص هو التصفية، فتصفي اعتقادك وتوحيدك من الشركيات.
٧- **المحبة**: المنافي للكره، فتحب هذه الكلمة العظيمة وما دلت عليه محبة شديدة ومحبة أهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها.

وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى على الشهادة الأولى بقول الله سبحانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ شهد الله أي بيّن الله، وشهادة الملائكة وأهل العلم: أي إقرارهم واعترافهم بلسانهم وبقلوبهم بأن الله هو المعبود الذي لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه، والقسط العدل.
فحسبك بأن الله شهد بأنه لا معبود يستحق العبادة إلا هو سبحانه بالإضافة إلى الملائكة وأصحاب العلم وفي هذا تزكية عالية لأهل العلم، يشهدون بأن الله سبحانه هو المعبود الذي لا يستحق العبادة إلا هو، إذن من كان دونهم أولى بأن يشهد ويكون تبعًا لهم بذلك.

وأما الشهادة الثانية دليلها قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ عزيز عليه يعني يعز عليه ما يشق عليكم، والعنت= المشقة.
ففيها إثبات أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رسول مرسل من رب العالمين، وفيها إخبار بأن هذا الرسول الذي جاءكم هو منكم تعرفونه ويعرفكم وتعرفون نسبه وصدقه وورعه وتقواه وأمانته وشفقته عليكم ومحبته لكم ولكل ما فيه خير لكم، وقال الله سبحانه في آية أخرى ﴿مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم ...﴾ [الفتح: ٢٩].

وهنا فائدة: لماذا اقترنت شهادتا: أشهدُ ألا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمدًا رسول الله، في ركن واحد من أركان الإسلام الخمسة ولم تنفرد الثانية عن الأولى؟
الجواب: لأنهما تشكلان أساس العقيدة الإسلامية وجوهر الإيمان.
فالشهادة الأولى تعبر عن الإخلاص والتوحيد، والشهادة الثانية تعبر عن الإيمان برسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم والمتابعة له، وعليه: فلا يصح الإيمان إلا باجتماعهما معًا، ولا تدخل الإسلام إلا بامتثالهما والنطق بهما معًا،

ولا يصح عملك إلا بهما فتخلص لله بالعبودية، وتكون تابعًا للرسول صلى الله عليه وسلم في طريق العبودية. فهما اللبنة الأولى في بناء الدين وبدونهما لا يقوم لك دين.

الركن الثاني والثالث:
الصلاة والزكاة، فالصلاة المقصودة هي الصلوات الخمس المفروضة.

والصلاة لغة: الدعاء، تقول: صلّى عليه بمعنى دعا له.
وفي الاصطلاح الشرعي: هي عبادة مخصوصة، ذات أقوال وأفعال مخصوصة، على صفة مخصوصة، مبتدئة بالتكبير ومنتهية بالتسليم.
وهي الركن الثاني بعد الركن الأول، وقد فرضت قبل الهجرة لمّا عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله سبحانه في السماء السابعة وهي الفريضة الوحيدة التي فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في السماء، وهذا يدل على عظمتها ومكانتها عند الله سبحانه وتعالى، وكانت الصلاة قبل الإسراء والمعراج ركعتين في النهار وركعتين في الليل، ثم لما عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل في السماء فَرَضَ عليه الصلوات الخمس، وكانت الرباعية ثنائية لكن في خمسة أوقات بدلًا من وقتين والمغرب على حالها ثلاث ركعات، ونزل جبريل صبيحة ليلة الإسراء وعلّم النبي أوقات الصلوات أولها وآخرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" ولأنَّ بيان جبريل للمواقيت كان صبيحة ليلة الإسراء، وهو ﷺ لم يخبر الناس بها حتى أصبح، وفات الفجر. فلعله أخَّر البيان إلى وقت الظهر، ليعلم المسلمون، ويأتمُّوا برسول الله ﷺ، حيث كان يأتمُّ هو بجبريل." اهـ [شرح عمدة الفقه (١/ ١٤٨)]

ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة زيد ركعتين في الظهر والعصر والعشاء فصارت رباعية، وبقيت صلاة السفر ركعتين.
إذن الصلاة كانت على مراحل:
الأولى: قبل المعراج، ركعتين في النهار وركعتين في المساء.
الثانية: بعد المعراج وقبل الهجرة، خمس صلوات في اليوم والليلة لكنها مثنى والمغرب على حالها.
الثالثة: بعد الهجرة إلى المدينة، زيد في الظهر والعصر والعشاء فصارت رباعية والمغرب على حالها والفجر ركعتين، وبقيت صلاة السفر على ما هي عليه مع الجمع.

وأما **الزكاة** فتعريفها لغة: فتعنى النماء والزيادة أو الطهارة.
وفي الاصطلاح: هي حق واجب في مال مخصوص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص.
- حق واجب: يعني مقدار معين يخرج وهو ٢.٥٪ من المال.
- في مال مخصوص: وهي تنقسم إلى قسمين:
الأول زكاة المال، الثاني زكاة الفطر.
والتي تعتبر من أركان الإسلام هي زكاة المال وهي خمسة أنواع:

١- النقدين – ومنها الذهب والفضة-.
٢- زكاة بهيمة الأنعام.
٣- زكاة الخارج من الأرض -من الزروع والحبوب والثمار-.
٤- زكاة عروض التجارة.
٥- زكاة الركاز، والركاز هو الكنوز المدفونة أيام الجاهلية ويجدها صاحب الأرض في أرضه.

وبالتالي فزكاة الفطر ليست من أركان الإسلام وإنما هي من الواجبات، أما زكاة المال فهي الركن الثالث الذي يبنى عليه دين المرء.
- وقولنا لطائفة مخصوصة: وهم ثمانية أصناف ذكرهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالعامِلِينَ عَلَيها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقابِ وَالغارِمِينَ وَفي سَبيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبيلِ فَريضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

-وقولنا في وقت مخصوص: وهو وقت بلوغ النصاب والحول، والحول هو السنة الهجرية فمن تملك في شهر رجب وبلغ المال الذي عنده شهر رجب من السنة القادمة وجب في هذا المال إخراج الزكاة.
وتفصيل الزكاة وما يتعلق بها مذكور في موضعه من كتب الفقه.

وكثيرًا ما اقترنت الزكاة بالصلاة في سياق واحد، دلالةً على أهميتها بمثابة أهمية الصلاة، فقد ذُكرت مقرونةً مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ستًا وعشرين مرة، ولأهمية الزكاة ودلالة على كونها من أركان الإسلام العظيمة المهمة، أن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا المرتدين الذين رفضوا إيتاء الزكاة فصاروا مرتدين بذلك فقاتلهم الصحابة حتى تاب منهم من تاب ومات من مات منهم على ردته.

وقول المصنف: وتفسير التوحيد، شاهده من الآية ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..﴾ ففيها بيان أن التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو إفراد الله سبحانه بالعبادة مخلصًا له الدين على التوضيح الذي بيناه فيما سبق.

والركن الرابع: **الصيام**، والصيام المراد به أنه ركن من أركان الإسلام هو صوم رمضان في كل سنة، والصيام تعريفه لغة: الإمساك والامتناع عن الشيء.
واصطلاحًا: الإمساك عن المفطرات بنية العبادة – وهذا قيد مهم- من طلوع الفجر إلى غروب الشمس،
والشاهد من الآية على أنه ركن وفرض على المسلمين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كُتب أي فرض، والمراد به صوم رمضان خاصة، وكذلك حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في الباب.

والركن الخامس: **الحج**، وتعريفه لغة: هو القصد والتوجه إلى مكان معظم.
واصطلاحًا: هو أداء مناسك مخصوصة في مكة في وقتٍ مُحدد بنيةِ العبادة.

ويجب مرة في العمر، وما زاد فهو نفل وخير على خير، والشاهد من الآية قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾
فهو أمر بأداء منسك الحج، والأمر يدل على الوجوب، وكذلك حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في الباب.

قال الإمام رحمه الله تعالى:" الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ الإِيمَانُ: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمانِ.
وأَركانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخر، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلُّهُ من الله.
وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ قولُهُ تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]
ودليل القدر قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]" اهـ

الشرح: شرع المصنف رحمه الله تعالى في بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين، وذكر أنه بضع وسبعون شعبة، والبضع: هو عدد قليل يتراوح بين الثلاثة والتسعة.
وقد ورد بلفظ عند البخاري في صحيحه أنه بضع وستون وهو المحفوظ قال الرسول صلى الله عليه وسلم «الإِيمَانُ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [البخاري (ح٩)]
وأما عند مسلم فورد بلفظ كما ذكره المصنف: بضع وسبعون أو بضع وستون – على الشك «الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ.» [مسلم (ح٣٥)]

وشُعَب الإيمان: أي أجزاؤه وخصاله، فهي كثيرة جدة متنوعة ترجع إلى ثلاثة أقسام:
فمنه ما هو قولي: كقول لا إله إلا الله وهو أعلاها وأفضلها، وألفاظ الأذكار من تسبيح وتحميد وتهليل والأمر بالمعروف باللسان.
ومنه ما هو عملي: كالصلاة والحج والجهاد وإماطة الأذى عن الطريق وتغيير المنكر باليد.
ومنه ما هو قلبي: كالخوف والرغبة والتوكل والحياء إلى غير ذلك.
وفرق بين شعب الإيمان وأركان الايمان الستة المذكورة فإن هذه أصول وأساس وجود الإيمان، فبدونها لا يصح إيمان المرء، أما شُعَب الإيمان فهي خصال وأجزاء هذه الإيمان من أعمال قولية وفعلية واعتقادية.

أما تعريف **الإيمان** لغة: بمعنى التصديق.
واصطلاحًا: هو الإقرار الجازم المستلزم للقبول والانقياد، لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
قولنا المستلزم: يعني ما يقتضي ويترتب عليه الشيء الآخر.
وقولنا القبول: يعني التسليم والإذعان القلبي.
وقولنا الانقياد: يعني الامتثال العملي، والالتزام بما يترتب على القبول كفعل الفرائض واجتناب المحرمات.

وعليه فيكون المعنى للتعريف: هو الإقرار الجازم الذي يترتب عليه القبول القلبي والعمل الظاهري بالانقياد بالجوارح لأوامر الله سبحانه وتعالى.

وحقيقته: أنه قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص، والعمل من الإيمان.
فهو قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب، يزيد الإيمان بالطاعات، وينقص الإيمان بالمعاصي، والعمل جزء من مسمى الإيمان بمعنى أنه لا بد من وجود عمل الجوارح -والجوارح هي الأعضاء الجسدية التي يؤدى بها الأعمال الظاهرة كالصلاة والجهاد والحج ونحو ذلك، فهي تحتاج لبذل الجسد وهي تقابل القلب التي هي محل النية والاعتقاد، ووجود نية واعتقاد يترتب عليه عمل جوارح فهي مترابطة مع بعض-، فلا بد من وجود عمل الجوارح التي لا يصح الإسلام إلا بها حتى يكون المرء مسلما كالصلاة، ويذكر العلماء أن هناك من الأعمال ما هو شرط لصحة الإيمان: كالشهادتين والصلاة.
ومنها ما هو كمال للإيمان وينقص من إيمانه بقدر ما نقص منها، لكنه يبقى في دائرة الإسلام بخلاف ما هو شرط لصحة الإيمان فمن لم يأتِ بها فهو قد خرج من الإسلام.
والحديث المذكور فيه دلالة على حقيقة الإيمان بأنه قول وعمل واعتقاد.
وأما دليل الزيادة والنقصان فالأدلة كثيرة فمنها: ﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هذِهِ إيمانًا فَأَمَّا الَّذينَ آمَنوا فَزادَتهُم إيمانًا وَهُم يَستَبشِرونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وجه الدلالة نزول القرآن أدى لزيادة الإيمان مما يدل على أنه قابل للزيادة وما كان قابل للزيادة فهو قابل للنقص.
وقوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذي أَنزَلَ السَّكينَةَ في قُلوبِ المُؤمِنينَ لِيَزدادوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِم ..﴾ [الفتح: ٤]
وقوله عز وجل ﴿وَالَّذينَ اهتَدَوا زادَهُم هُدًى وَآتاهُم تَقواهُم﴾ [محمد: ١٧]
وجه الدلالة: زيادة الهدى يترتب عليه زيادة الإيمان والتقوى، وهذا فيه زيادة الإيمان بالطاعات.

وفي الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»، فالزنا والسرقة من كبائر الذنوب لكنها لا تخرج من الإيمان وإنما تدل على نقصانه، فإن المؤمنَ كاملَ الإيمان لا يقعُ في المعاصي، فوقوعه في هذه المنكرات دلالة على نقصٍ في إيمانه، وغير ذلك من الأدلة.

وقد ذكر المصنف الدليل على أن عدة أركان الإيمان ستة يكمل مجموعها في الآيتين، فالآية الأولى ذُكِر فيها خمسة أركان، والآية الثانية فيها ذكر الركن السادس وهو القدر.

وإليك التعريف لهذه الأركان الستة:
١-**الله:** اسم علم خاص يدل على الذات الإلهية لا يطلق على غيره وتتبعه جميع الأسماء.
٢- **الملائكة:** جمع ملك، وهو لغة مشتق من الألوكة وتعني الرسالة.
وشرعًا: هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، وتبليغ أمره الديني، مخلوقون من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٣- **الكتب**: جمع كتاب، بمعنى مكتوب وهو ما جمع من صحف أو نصوص.
وشرعًا: هي الكتب التي أنزلها الله على رسله لتبليغ شريعته وهداية البشر، كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور.
٤- **الرسل**: جمع رسول وهو مشتق من الإرسال أي التوجيه، تقول أرسل إليه: أي وجّه إليه، والرسول هو المتوجه -المبعوث- برسالة من قوم إلى آخرين.
وشرعًا: هم بشر اصطفاهم الله لتبليغ رسالته ووحيه إلى الناس، وهم معصومون في تبليغ الرسالة.
وهناك فرق بين النبي والرسول: فالنبي مشتق من النبأ وهو الخبر أو الإنباء وهو الإخبار بمعنى أن الله أخبره على الأول، وعلى الثاني بمعنى المخبر عن الله سبحانه وتعالى.
وقد ذكر أهل العلم عدة أقوال في الفرق بين النبي والرسول ولعل أرجحها أن النبي هو من أوحي إليه وبعث إلى قوم (مؤمنين)، والرسول هو من أوحي إليه وبعث إلى قوم (كافرين).
وعلى هذا يتبين أن هناك فرق بين النبي والرسول وأنه ليس كل نبي رسول ولكن كل رسول نبي.
و**الوحي**: هو أن يُعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من أنواع الهداية والعلم لكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر.
وهو أنواع: إما بأن يكلمه الله من وراء حجاب فيسمع صوت الله وكلامه مباشرة، وإما يوحي إليه في المنام، وإما أن يرسل إليه رسولا، قال الله عز وجل: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلّا وَحيًا أَو مِن وَراءِ حِجابٍ أَو يُرسِلَ رَسولًا فَيوحِيَ بِإِذنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]
٥- **اليوم الآخر**: هو مايكون بعد الموت من أحوال البرزخ، وأهوال القيامة، والجنة والنار.
والإنسان يمر بثلاثةِ مراحل، حياة الدنيا، وحياة البرزخ -والبرزخ الفاصل بين شيئين-، وهي التي تكون بين حياة الدنيا والآخرة فيكون الميت في قبره يعذب أو ينعم حتى تقوم الساعة- ثم حياة الآخرة وهي حياة الخلود الآبدية.
٦- **القدر**: لغة من التقدير أو الحكم بشيء، و**القضاء**: لغة هو الإحكام والاتقان.
والقدر شرعًا: هو علمه سبحانه ومشيئته وخلقه وكتابته لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا.
والقضاء شرعًا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.
والفرق بينهما: أن القدر ما قدره الله في الأزل، والقضاء هو وقوع ما قدره الله عز وجل.

وحتى يتحقق إيمانك بهذه الأركان – ولا يصح إيمانك بالإخلال بأحدها– لا بد أن تؤمن بأمور مترتبة على هذه الأركان الستة.
* فحتى تكونَ مؤمنًا بالله تعالى يترتب عليه الإيمان بأربعة أمور:
١) الإيمان بوجود الله تعالى.
٢) الإيمان بربوبية الله سبحانه.
٣) الإيمان بألوهية الله عز وجل.
٤) الإيمان بما له من الأسماء والصفات.

* وحتى تكونَ مؤمنًا بالملائكة يتضمن الإيمان بأربعة أمور:
١) الإيمان بوجودهم.

٢) والإيمان بمن علمنا اسمه كجبريل وميكائيل ومالك ورضوان والمنكر والنكير، وأما من لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا بمعنى أننا نعتقد بوجود ملائكة كثر لا يعلم عددهم إلا الله ولا نعلم إلا القليل منهم.
٣) الإيمان بما علمنا من صفاتهم كجبريل وصف لنا بأن له ستمئة جناح، ومنهم من له أجنحة مثنى وثلاث ورباع
٤) ونؤمن بما علمنا من أعمالهم فمنهم من هو موكل بالوحي ومنهم من هو موكل بالقطر -أي المطر-، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح، ومنهم من هو موكل بسؤال الميت في قبره، ومنهم من هو موكل بتعذيب أهل النار إلى آخر ما ورد في النصوص، فكُلُّ مَلَك له عمل موكل به.

* وحتى تكون مؤمنًا بالكتب يتضمن أربعة أمور:
١) الإيمان بنزولها من عند الله سبحانه وتعالى.
٢) الإيمان بما علمنا من أسمائها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وما لم نعلم اسمها نؤمن بها إجمالًا، وأن كل رسول نزل معه كتاب.
٣) تصديق ما صح من أخبارها.
٤) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها وهو القرآن، والقرآن ناسخ لجميع الكتب السابقة فبتالي يكون العمل بما جاء في شريعتنا.
مع العلم بأن جميع تلك الكتب السابقة عدا القرآن هي كتب محرفة، والكتب التي يقال عنها التوراة والإنجيل التي بين أيدي الناس اليوم ليست هي الكتب التي نزلت على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فنحن نؤمن بالتوراة والإنجيل لكن لا نسلّم بأن هذه الكتب الموجودة عندهم هي التوراة والإنجيل التي جاء بها موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

* وحتى تكونَ مؤمنًا بالرسل يتضمن أربعة أمور:
١) الإيمان بأن رسالتهم من الله سبحانه.
٢) الإيمان بما علمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم فنؤمن به إجمالًا، فالله قص علينا أخبار بعض الرسل وأخفى عنا أخبار كثير منهم.
٣) تصديق ما صح من أخبارهم.
٤) العمل بشريعة من أُرسِلَ إلينا منهم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتمهم ولا نبي بعده.

* وحتى تكونَ مؤمنًا باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:
١) الإيمان بالبعث وهو الإحياء بعد الموت للحساب.
٢) الإيمان بالحساب أن الناس محاسبون على أعمالهم، والمجازاة عليها بنعيم أو عذاب.
٣) الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان الآن لا تفنيان وهي دار خلود إلى ما لا نهاية.
ويلتحق بهذا الإيمان بكل ما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه والوقوف في المحشر وتطاير الصحف والحوض والميزان والصراط والقنطرة وذبح ملك الموت بين الجنة والنار إلى آخر ما ورد من أحوال ستحصل بعد الموت.

* وحتى تكون مؤمنًا بالقدر يتضمن أربعة أمور:

١) الإيمان بعلم الله الأزلي بأنه يعلم ما كان وما يكون، والذي لم يكن لو أنه كان كيف سيكون، فيعلم سرنا وجهرنا، ﴿.... ذلِكَ لِتعلَموا أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقال سبحانه ﴿وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرضِ وَلا رَطبٍ وَلا يابِسٍ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]
﴿أَلّا يَسجُدوا لِلَّهِ الَّذي يُخرِجُ الخَبءَ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَيَعلَمُ ما تُخفونَ وَما تُعلِنونَ ۝ اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظيمِ﴾ [النمل: ٢٥-٢٦]

٢) الإيمان بكتابة كل شيء في اللوح المحفوظ، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد: 22].
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج: 70]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّ أوَّلَ ما خلق اللهُ القَلَمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتُبْ مقادير كلِّ شيءٍ حتى تقوم الساعةُ...» [أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) وهذا لفظه والترمذي (٣٣١٩)].
٣) الإيمان بإرادة الله تعالى ومشيئته، فإن ما أراده الله هو الذي سيكون ولو اجتمع الخلق كلهم على خلافه ﴿وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَليمًا حَكيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿إِنَّما أَمرُهُ إِذا أَرادَ شَيئًا أَن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ [يس: ٨٢]
وفي الحديث: «واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، (رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ)» [سنن الترمذي (ح٢٥١٦) وهذا لفظه وأحمد في المسند (٢٦٦٩)]
٤) الإيمان بأن الله خالق كل شيء ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]
خلق العباد وأعمالهم، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ﴾ [الصافات: ٩٦]

وقول المصنف رحمه الله تعالى:" وبالقدر خيره وشره كله من الله" اهـ
هنا مسألة وهي إضافة الشر إلى الله عز وجل، فينبغي أن يعلم أن الشر لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى تأدبًا معه، وإن كان هو خالق الخير والشر، والشر يكون من مخلوقات الله سبحانه، أما من الله فلا يكون شرًا كما جاء في الحديث «والشر ليس إليك»، فهو قد يكون شر في نظرنا لكن لله الحكمة البالغة هذا الذي نعتقد أنه شر قد يكون في علم الله هو خير لنا وهو أحكم الحاكمين، فأهل السنة لا يضيفون الشر إلى الله بالرغم من اعتقادهم أن الخير والشر كله من خلق الله سبحانه.

قال الإمام المصنف رحمه الله تعالى:" المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد: وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ - الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ - وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ - إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ): حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ عليه السلام الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «بينما نحنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا».

قَالَ: صَدَقْتَ، فعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ».

قال: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فإن لم تكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: أخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»

قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا.

فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟»

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»" اهـ.

الشرح:

الإحسان: مشتق من الحسن، يأتي بمعنى الإتقان والجودة والإنعام على الغير، فهو يحمل معنى الكمال والاتقان في العمل والمعاملة.

وفي الاصطلاح: هو إتقان الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة.

فأنت إن اتقنت الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة بلغت إلى مرحلة تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى كأنك تراه، فهذا هو المقصود من كلام المصنف أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا هو حقيقة الإحسان؛ فالإحسان له مرتبتان:

١) مرتبة المشاهدة: [كأنك تراه]، فلشدة إتقانك لعبودية الله سبحانه وشدة يقينك به سبحانه تصل إلى مرحلة كأنك تعبد الله رأي العين.

الثانية: مرتبة المراقبة: [فإنه يراك] وهي أقل من الأولى، فأنت تعبد الله وتعلم أنه يراك ويراقبك ومطلع عليك ويعلم ما تخفي وما تعلن، فلا تعصيه ولا تخالف أمره سبحانه وتعالى.

وينقسم الإحسان إلى نوعين:

١) إحسان مع الخالق: وذلك بفعل أوامره واجتنابه نواهيه وتتقن الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة، فتأتي بها خالصة لوجه الله سبحانه متابعًا للرسول صلى الله عليه وسلم فيها، وهذا هو المقصود في كلام المصنف

رحمه الله تعالى.
٢) إحسان مع الخلق: وذلك بمعاملتهم برفق وكرم وعدل والإنعام عليهم فذلك من الإحسان.

فأما الدليل الأول والثاني: يدلان على المرتبة الأولى وهي مرتبة المشاهدة، ووجه الدلالة منهما مدحه للمحسنين الذين اتقنوا أعمالهم الظاهرة واعتقاداتهم الباطنة، وقد بلغوا درجة الإحسان كأنهم يشاهدون الله عيانًا فكان الله معهم معية خاصة وهي معية النصر والتأييد والتوفيق.
وأما الدليل الثالث: فمدحه المتوكل على الله سبحانه فإنه قد بلغ درجة حقيقة الإحسان بتفويض أمره إلى الله سبحانه وتعالى.
وأما الدليل الرابع والخامس: يدلان على المرتبة الثاني وهي مرتبة المراقبة «الذي يراك حين تقوم..» «إلا كنا عليكم شهودًا إذ تُفِيضُونَ فيه..» أي شرعتم فيه بالعمل.
وأما الدليل السادس وهو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو حديث يعرف باسم أم السنة.
وفيه دلالة على مراتب الدين كلها لذا ختم به المصنف الأصل الثاني، والشاهد منه لهذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين أنه لما ذكر الإحسان ذكره في بيان حقيقته القائمة على مرتبتي المشاهدة والمراقبة.
والحديث من مفردات [صحيح مسلم (ح٨)] عن البخاري، وأما لفظة «يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»، فكلمة (أمر) ليست عند مسلم وهي عند النسائي في [السنن الكبرى (ح٥٨٥٢)] مع اختلاف في ألفاظ الحديث.

والحديث فيه من اللطائف والفوائد منها:
*الأمور الغريبة مما يعين على رسوخ الحادثة في الذهن، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام جاءهم بصورة تخالف المعتاد فعادة المسافر أنه يكون أشعث الرأس مغبرة ثيابه، لكن جبريل جاء بصورة مرتبة نظيفة تخالف المعتاد.
*طريقة السؤال والجواب من طرائق التعليم وهي أرسخ في تثبيت العلم، فكان يسأله والرسول صلى الله عليه وسلم يجيب والصحابة يتعلمون.
*أدب جبريل في سؤاله وجلوسه تعليم للصحابة ولنا في حسن الأدب مع أهل العلم في حسن السؤال وحسن الجلوس بين أيديهم.
*السؤال عن المهم في أمور الدين وعدم السؤال عما لا ينفع.
وقوله: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل: أي أنا وأنت سواء في عدم المعرفة، لأن الساعة من أمور الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.
وقوله: الأمارات، أي العلامات، أي علامات تدل على قرب الساعة وهي القيامة. والعلامات منها علامات صغرى وعلامات كبرى، فالعلامات الصغرى دلالة على قرب وقوع العلامات الكبرى، وتكون متفاوتة فيما بينها، فإن وقعت العلامات الكبرى جاءت متتابعة علامة تلو علامة ثم حينها ينفخ الملك الموكل بالنفخ في الصور النفخة الأولى فيموت كل مخلوق أمر الله بموته، ثم لما ينفخ النفخة الثانية يُبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.
وقوله: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا: أي يكثر وطء الإماء من قِبل الرجال الأحرار، فتنجب البنات، فتكون البنت حرة وتبقى الأم أمة، وتكون البنت سيدة لأمها ومالكة لها، وقيل أن المعنى كثرة العقوق في آخر الزمان فتعامل البنت أمها كأنها أمة عندها.

والحُفاة: الذين ليس لهم نعال من الفقر.
العُراة: الذي ليس لهم لباس كاف لستر عوراتهم.
العَالة: الفقراء.
رِعَاءَ الشَّاءِ: جمعُ راعٍ أي الذين يرعون الأغنام.
يتطاولون في البنيان: يتسابقون أيهم أطول بنيانًا من غيره.
دلالة على تغير حال الناس إذ كانوا فقراء لا يملكون شيئًا فصاروا مع تغير الزمان أغنياء وعنهم من الترف في المال ما يجعلوهم يسرفون في البناء والتطاول فيه، ويذكر بعض أهل العلم أن هذه الأمارة ظاهرة في زماننا هذا وهو مصداق لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.
لبث: أي وقتًا قصيرًا.

فائدة:
إذا ذكر الإسلام أو الإيمان أو الإحسان لوحده تداخلت المعاني فصار الإسلام يشمل الإيمان والإحسان، وإذا ذكر الإيمان لوحده شمل الإسلام والإحسان وهكذا.
أما عند ذكرهم في سياق واحد صار لكل مصطلح معناه وخلاصته:
الإسلام: هو الخضوع والانقياد لله بالأعمال الظاهرة (أركان الإسلام الخمسة).
الإيمان: هو الإقرار الجازم بالقلب مع القول والعمل بالأعمال الباطنة. (أركان الإيمان الستة).
الإحسان: عبادة الله بمراقبته وإتقان العمل مع الإنعام على الخلق.

قال الإمام المصنف رحمه الله تعالى:" الأَصْلُ الثَّالِثُ مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ" اهـ.

الشرح:
شرع المصنف في بيان شيء من سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وذكر أهل العلم أن هناك قدر مجزئ من هذه السيرة يجب على كل مسلم أن يعرفها عن الرسول صلى الله عليه وسلم: وهو أن يعرف أن هناك رسول اسمه محمد ارسله الله إلى الإنس والجن كافة، يدعوهم لتوحيد الله والبعد عن الشرك، جاء بشريعة الإسلام، وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأن القرآن الكريم من أكبر الآيات الدالة على صدقه ورسالته.

فمن القبيح في حق المسلم أن يُسأل عن اسم النبي صلى الله عليه وسلم فيجهله! وبما جاء به فيجهله؟ وأين ولد وأين مات وأين هاجر وما هو كتابه! فيجهل كل ذلك فما هذا الإسلام الذي يحمله، فإن كان يجهل المبلِّغ لهذا الدين العظيم ولرب العالمين فهو بهما أجهل!

أما طالب العلم المبتدئ فإن أقل ما ينبغي عليه معرفته هو القدر الذي ذكره الشيخ في هذا الأصل، وما زاد عن ذلك فهو فضلٌ على فضلٍ، كمعرفة الغزوات والسرايا نحو ذلك وهذا له مظانه من كتب التي عنيت

بالسيرة النبوية المطهرة.
فَذَكَر اسم النبي صلى الله عليه وسلم – وقد سبق أن ذكرنا تعريف النبي – وأنه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب من بني هاشم وبنو هاشم من قبيلة قريش وقريش من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقريش من إحدى أعرق وأكبر القبائل التي لها السيادة والرياسة فهو من أشرف الأنساب كما جاء في الحديث الصحيح من رواية واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنَانَةَ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِمٍ». [صحيح مسلم (ح٢٢٧٦)]

قال المصنف رحمه الله تعالى:" وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَثَلاثٌ وعشرون نبيًا رسولًا، نُبِّئَ باقرأ، وأرسلَ بالمُدَّثِّر، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ" اهـ

الشرح:
فهذا مجموع عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد مات وله من العمر ثلاث وستون سنة، ثلاث وعشرون سنة قضاها في الدعوة إلى التوحيد ونصرة أهله، ومحاربة الشرك وأهله والبراءة منهم، فقد صار نبيًا يوحى إليه لما جاءه جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء منعزل عن قومه وعباداتهم الشركية، وقد كان حبب إليه الخلاء أي العزلة قبل نزول الوحي عليه كأنه تهيئة من الله سبحانه له لما ينتظره من مشقة حمل هذه الرسالة العظيمة وهي دعوة التوحيد، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.
جاءه جبريل عليه السلام في الغار فضمه ضم شديدة ثم تركه فقال له اقرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ، يعني أنه أمي لا يجيد القراءة ولا الكتابة، فضمه جبريل الثانية وأعاد عليه فأعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضمه الثالثة وأرسله فقال ﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسانَ مِن عَلَقٍ ۝ اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ ۝ الَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنسانَ ما لَم يَعلَم﴾ [العلق: ١-٥]
فرجع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خائفًا إلى بيته وأخبر زوجه خديجة رضي الله عنها بالخبر إلى آخر القصة المعروفة وقد ذكرها الإمام البخاري رحمه الله – وغيره – في أول كتابه الصحيح في بدء الوحي.

ثم انقطع عنه الوحي زمنًا ثم عاد جبريل عليه الصلاة والسلام وقرأ عليه قول الله عز وجل ﴿يا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ ۝ قُم فَأَنذِر ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّر ۝ وَثِيابَكَ فَطَهِّر ۝ وَالرُّجزَ فَاهجُر ۝ وَلا تَمنُن تَستَكثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصبِر﴾ [المدثر: ١-٧]
فكانت الخمس آيات الأولى من سورة العلق نزلت عليه وهو في غار حراء ثم انقطع عنه الوحي، ثم عاد جبريل عليه السلام بالوحي، فأول الآيات نزولًا عليه مطلقًا هي الخمس آيات من سورة العلق، وآيات المدثر هي أول الآيات نزولًا عليه بعد انقطاع الوحي.

فلما نزلت عليه آيات سورة المدثر صار نبيًا رسولًا إلى قومه. وقوله بلده مكة يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم مولده في مكة المكرمة.

بقي في مكة ثلاثة عشر سنة بعد أن صار نبيا، بقي فيها حتى بلغ من العمر ثلاث وخمسين سنة، ويقسّم أهل العلم الدعوة إلى عهدين:

الأول: العهد المكي: وينقسم إلى:

- الدعوة السرية: وهذه كانت في بداية الوحي بعد عمر الأربعين واستمرت لمدة ثلاث سنوات فقد كان يدعو المقربين منه وممن يثق بهم ومن قبل الإسلام منهم دعا غيره فأول من أسلم:

من الرجال: أبي بكر الصديق رضي الله واسمه عبدالله بن عثمان.

ومن النساء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أم المؤمنين وزوج رسول رب العالمين.

ومن الصبيان: علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام وكان في العاشرة من عمره وقد كان يعيش في كفالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنه.

فهؤلاء الخمسة هم أول السابقين في الإسلام ودعو غيرهم للإسلام فبدأ الإسلام ينتشر، ثم أمره الله عز وجل أن يجهر بالدعوة لما نزل قوله سبحانه ﴿فَاصدَع بِما تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ المُشرِكينَ﴾ [الحجر: ٩٤]

- الدعوة الجهرية: أظهر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الإسلام وعاب آلهة المشركين وبين بطلان عبادتها وعبادة ما عليه المشركون، فأسلم في هذه المرحلة كثير من الصحابة مثل: عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن مسعود وبلال بن رباح ياسر بن عامر وزوجه سمية بنت خياط وهي أول شهيدة في الإسلام وابنهما عمار بن ياسر وصهيب بن سنان وخَبّاب بن الأرت وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وقد أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوذي أصحابه كثيرًا في بداية الدعوة واستمر في مكة يجهر لمدة عشر سنوات بعد الدعوة السرية التي كانت مدتها ثلاث سنوات، والدعوة الجهرية مستمرة وستبقى دعوته جهرية إلى قيام الساعة.

العهد المدني: بدأ هذا العهد بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية بعدما بلغ من العمر ثلاث وخمسين سنة أمره الله سبحانه بالهجرة إلى المدينة النبوية وقد كانت تسمى يثرب فسماها النبي صلى الله عليه وسلم طابة وطيبة وسميت بالمدينة النبوية.

فائدة:

الآيات التي نزلت قبل الهجرة يقال عنها الآيات المكية، والآيات التي نزلت بعد الهجرة – ولو كان في مكة وخارج المدينة- تسمى الآيات المدنية.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ - وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ - وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ - وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ - وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ - وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧].

وَمَعْنَى قُمْ فَأَنذِرْ: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إلى التوحيد.

وربك فكبر: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عن الشِّرْكِ.
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وأهلِهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، وعداوتُهَا وأهلِهَا، وفِراقُهَا وأهْلِهَا" اهـ

الشرح:
ذكر الإمام محمد رحمه الله تعالى المقصود من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لماذا بعثه الله؟ بعثه بالنِّذَارة عن الشرك والدعوة إلى توحيد الله عز وجل، ومعنى النِّذَارة: التحذير والترهيب، فيحذر من الشرك ويرهب من خطورته وعقوبته.
وقوله: قم فأنذر: دليل على النذارة عن الشرك.
وقوله: وربك فكبر: دليل على الدعوة إلى التوحيد.
وقد ذكر المصنف أصول هجر الأصنام وهي عامة في كل ما يعبد من دون الله سبحانه:
فالأول: تركها وأهلها.
الثاني: البراءة منها ومن أهلها.
الثالث: عداوة الأصنام وعداوة عُبّاد الأصنام.
الرابع: المفارقة لها ولأهلها.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثلاث سنين، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المَدِينَةِ.
وَالْهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا - إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا - فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]
قال البغوي رحمه الله: (سَبَبُ نُزُولِ هذه الآيةِ في المُسلِمِينَ الذين بمكة لم يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ).
وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها»" اهـ

الشرح:
ذكر الإمام هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعثته ولمدته عشر سنوات كان يدعو إلى التوحيد، وفي السنة الحادية عشر من البعثة عُرِجَ به أي صعد به إلى السماء كما هو معروف في قصة الإسراء والمعراج، وفُرِضت عليه الصلوات الخمس في اليوم والليلة، واستمر يصلي في مكة بعدما فرضت عليه الصلوات الخمس لمدة ثلاث سنوات في مكة ثم بعد ذلك أذن الله له بالهجرة إلى المدينة النبوية.

ومعنى الهجرة: الانتقال من مكان إلى مكان آخر.
وفي المعنى الشرعي: ترك بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.
وهي أنواع:
١- ترك بلد الكفر إلى بلد الإسلام.
٢- ترك عمل السوء كالمعاصي والبدع والكفر والشرك إلى الطاعات والسنة والتوحيد.
٣- ترك أصحاب السوء كالفساق والمبتدعة والكفار إلى أهل الصلاح والسنة والإيمان.

وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى النوع الأول من الهجرة وبيّن أنه فريضة واجبة إلى قيام الساعة، فيجب الهجرة من بلد الكفر إلى الإسلام وجوبًا:
* في حال عدم القدرة على إظهار الدين وشعائره.
* في حال القدرة على مفارقة بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

وفي حال الاستحباب:
*لمن يستطيع إظهار دينه وشعائره.
وفي حال الرخصة:
*لمن لا يستطيع مفارقة بلد الكفر إلى بلد الإسلام لعجزه، حتى يتيسر له ذلك فهو معذور.

والمقصود من إظهار شعائر الدين: القدرة على العمل بشريعة الإسلام الظاهرة كالأذان والصلاة والصيام وعيب دين المشركين وبيان بطلانه.

ثم ذكر الأدلة على الهجرة فالآية الأولى فيها الإنكار على من يزعمون أنهم لا يستطيعون إظهار دينهم بعدم خروجهم من هذا البلد مع الرغم أنهم قادرون على المفارقة فجعلهم ظالمين لأنفسهم وذكر عقوبتهم.
وعذر العاجزين المستضعفين الذين يعجزون عن المفارقة فليس عليهم إثم في ذلك.
إذن فيها دلالة على وجوب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.
والدليل الثاني: فيها أمر الله سبحانه للمستضعفين من أهل الإيمان بالهجرة، وأمره يدل على الوجوب إذن الهجرة واجبة. وأما كلام البغوي رحمه الله تعالى فلعل الإمام ذكره بالمعنى؛ لأن المذكور في تفسيره يختلف عن هذا السياق، فقال رحمه الله تعالى:" قَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي ضُعَفَاءِ مُسْلِمِي مَكَّةَ، يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ فِي ضِيقٍ بِمَكَّةَ مِنْ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ فَاخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى أَرْضِ الْمَدِينَةِ، إِنَّ أَرْضِي -يَعْنِي الْمَدِينَةَ-وَاسِعَةٌ آمِنَةٌ.
قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ أَرْضِيَ الْمَدِينَةَ وَاسِعَةٌ فَهَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِيهَا.
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا عُمِلَ فِي أَرْضٍ بِالْمَعَاصِي فَاخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ.
وَقَالَ عَطَاءٌ: إِذَا أُمِرْتُمْ بِالْمَعَاصِي فَاهْرُبُوا فَإِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ.
وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ فِي بَلَدٍ يُعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي وَلَا يُمْكِنُهُ تَغْيِيرُ ذَلِكَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى حَيْثُ يَتَهَيَّأُ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ بِمَكَّةَ، وَقَالُوا: نَخْشَى، إِنْ هَاجَرْنَا، مِنَ الْجُوعِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَمْ يَعْذُرْهُمْ بِتَرْكِ الْخُرُوجِ، وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ" أَيْ: رِزْقِي لَكُمْ وَاسِعٌ فَاخْرُجُوا" اهـ
فيظهر أن الشيخ رحمه الله تعالى ذكر كلام البغوي رحمه الله تعالى بالمعنى.

وأما الدليل الثالث: وهو حديث حسن، فيه دلالة على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلام مِثْلِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا عنهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ." اهـ

الشرح: بعدما هاجر إلى المدينة تتابعت الأحكام الشرعية ونزول الفرائض كما قال الإمام رحمه الله تعالى، ومكث في المدينة لمدة عشر سنوات حتى مات صلوات ربي وسلامه عليه وأظلمت المدينة بموته مثلما أنارت عند أول قدومه، فمات في السنة العاشرة من الهجرة النبوية.
ولم يمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة، وما من شيء يتعلق بالدين من الأمور التي يجب علينا تعلمه ومعرفته إلا وبينه لنا كما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قِيلَ له: "قدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِرَاءَةَ قالَ: فقالَ: أجَلْ لقَدْ نَهانا أنْ نَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ لِغائِطٍ، أوْ بَوْلٍ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ باليَمِينِ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ بأَقَلَّ مِن ثَلاثَةِ أحْجارٍ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ برَجِيعٍ، أوْ بعَظْمٍ."
[صحيح مسلم (ح٢٦٢)]
فإن كان علمنا تفاصيل آداب قضاء الحاجة دل هذا على أنه ما من شيء يقربنا إلى الله سبحانه إلا ودلنا عليه وما من شيء يبعدنا عن الله إلا وحذرنا منه، فأعظم ما دلنا عليه التوحيد وسائر الطاعات، وأعظم ما نهانا عنه الشرك وسائر المعاصي.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" بَعَثَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وَأَكْمَلَ اللهُ له الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ - ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١].
وَالنَّاس إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا - ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]
وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]" اهـ

الشرح:
ذكر المصنف رحمه الله هنا ستة مسائل:
١- أن الله عز وجل أرسل رسولنا صلوات ربي وسلامه عليه إلى جميع الخلق من الإنس والجن فيجب عليهم كلهم طاعته.
٢- وأن الله أكمل الدين فلا يوجد نقص في شريعة الله فهي كاملة فليس علينا إلا الاتباع والعمل.
٣- وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حاله كحال بقية البشر يموت كما يموتون وقد مات.
٤- وأن الناس يُبعثون أي يحيهم الله تعالى ويخرجهم من قبورهم.
٥- أن هناك حساب وجزاء.
٦- وأن من ينكر البعث بعد الموت فهو كافر.
وقد ذكر الأدلة على كل مسألة من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ - عليهم الصلاة والسلام - وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِن رِجالِكُمْ وَلكِن رَسولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أولُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]" اهـ

الشرح:
ذكر المصنف رحمه الله تعالى ثلاث مسائل:
١- أن الله تعالى أرسل الرسل وظيفتهم الإنذار والتبشير، يحذرون من عصى الله من عقابه وأليم عذابه ومن خطورة الشرك والكفر والمعاصي، ويبشرون أهل التوحيد والطاعات بما لهم من عظيم الجزاء بما صبروا على توحيد الله وطاعته، فلم يترك الناس هملًا من غير إرسال رسل إليهم فالرسل حجة الله على خلقه يوم القيامة وحتى لا يحتجوا ويقولوا يا ربِّ لماذا لم ترسل إلينا رسل من عندك لنؤمن بك ونطيعك! فقد فعل سبحانه.
٢- أن أول الرسل نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فآدم عليه السلام نبي وليس برسول وذكر الدليل على أن نوحًا عليه الصلاة والسلام أول رسول في تقديم ذكره بوحي الرسالة ثم النبيين من بعده، وقد جاء أصرح من ذلك في حديث الشفاعة الشاهد منه:"... اذْهَبُوا إِلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَما تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟..»
[صحيح البخاري (ح٣٣٤٠) مسلم (ح١٩٤)]
٣- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، بمعنى أنه آخرهم ولن يكون هناك نبي بعده، وقد ذكر الدليل على ذلك، فكونه خاتم النبيين يدل على تمام النبوة واكتمالها بمجيئه فلا نبوة بعده، وعالمية رسالته لأنها

لجميع الخلق من الإنس والجن ولأن هذه الأمة آخر الأمم ولن يكون بعدها أمة، حفظ هذا الدين مما يدل على استمرارية وبقاء هذا الدين إلى أن يقبض الله تعالى الأرض ومن عليها، فلا خوف على الدين وإنما الخوف على انحراف الناس عن دينهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إليها رسُولًا من نوحٍ إلى محمدٍ -عليهما الصلاة والسلام- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطاغُوت﴾ [النحل: ٣٦]
وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ومَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ).
وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ.
وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».
وَاللهُ أعلم وصلّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلم" اهـ.

الشرح:
ذكر المصنف رحمه الله أنه ما من رسول أرسله الله تعالى إلا كانت دعوته الدعوة لعبادة الله وترك عبادة الأوثان، فهذا أول ما ينبغي على الداعية أن يدعو إليه، التوحيد والبراءة من الشرك وأهله.
فهذه دعوة الأنبياء والرسل قائمة على أصلين:
الأمر بعبادة الله تعالى.
الكفر بالطاغوت.
ولا يصح التوحيد ممن يقول لا إله إلا الله إلا مع الكفر بالطاغوت والبراءة منه وأهله ووجوب بغضه.
فالذين يزعم أنه موحد ولا يكفر بالطاغوت أو يتساهل بالطاغوت فهذا ما حقق التوحيد ولا يصح منه توحيده.
ولأهمية هذا الأمر ذكر الإمام رحمه الله هذه المسألة وهي الكفر الطاغوت؟ الطاغوت إذا ذكر في القرآن مطلقًا فالمراد به الشيطان فهذا بالمعنى العام، وأما بالمعنى الخاص للطاغوت فأحسن تعريف له هو ما عرّفه ابن القيم رحمه الله بأنه ما تجاوز به العبد حده من:
معبود: فكل ما عُبِدَ من دون الله سبحانه فهو طاغوت لأنه مجاوزة للحد فلا يستحق العبادة إلا الله فصرفها لغيره مجاوزة للحد.
المتبوع: هو كل من اتخذ متبوعًا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني يرى أنه يجوز أن تتابع غير الرسول وتترك الرسول لأنهما سيّان، فأنت مأمور بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فحينما تتجاوز حدك وترى جواز متابعة غيره وترك الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي اتبعته يعتبر طاغوتًا.
المطاع: أي يطاع من دون الله ورسوله في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه

الله فلما تطيع غير الله وغير رسوله صلى الله عليه وسلم في تحليل ما حرم أو تحريم ما أحل فقد تجاوزت الحد فصار هذا المطاع طاغوتًا يعبد من دون الله سبحانه.
وقد ذكر المصنف رؤوس هؤلاء الطواغيت، أي هم أعظم شرًا وخطرًا من غيرهم.
فالأول: الشيطان، والثاني من عُبَدَ وهو راض بعبادته من دون الله ولو لم يدع إلى ذلك.
الثالث: من يدعي علم الغيب كالعرافين والكهان والسحرة والمشعوذين.
الرابع: من يدعو الناس إلى عبادته من دون الله فهو طاغوت ولو لم يعبده أحد فيكفيه نيته التي أوقعته في كفره.
الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله سبحانه، والمراد بذلك من استبدل الشريعة كلها، أما من حكم بغير ما أنزل الله في بعض الأحكام مع أن الأصل هو التحاكم لشرع الله فهذا كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. ففرق بين استبدال الشريعة وإحلال النظم الوضعية بدلًا من الشريعة، وبين الحكم في بعض المسائل مع بقاء الأصل التحاكم لشرع الله.

رأس الأمر: أي الدين وهو الإسلام بالتعريف الذي سبق ذكره، فهو الشاهد على معنى لا إله إلا الله المحتوية على ركن النفي والإثبات فحقيقة الإسلام الاستلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله.

والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:
حدثنا الشيخ صالح بن عبدالله بن حمد العصيمي عن جماعة من شيوخه وهو أول حديث سمعته منه بإسناده إلى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو، عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمونَ يرحمُهُمُ الرحمنُ، ارحموا من في الأرضِ، يرحمْكُمْ مَن في السماءِ»، ومن آكد الرحمة رحمة المعلمين بالمتعلمين بتسهيل العلم لهم وتلقينهم إياه، وهذا **الكتاب الثاني** في هذه الدورة التأصيلية الأولى سنة ١٤٤٦هـ وهو كتاب " فضل الإسلام" لإمام الدعوة السلفية الإصلاحية الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

وهذه الرسالة عظيمة النفع كثيرة الفوائد ذكر فيها المصنف «ثلاثة عشر بابًا» على طريقة أئمة الحديث في ذكر عنوانًا للباب ثم يتبعه بسرد الأدلة كصنيع الإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهم من أئمة الحديث.
أراد المصنف رحمه الله أن يبين لك مزايا هذا الدين ووجوب الالتزام به دون غيره من الأديان وتفسير الإسلام

صاحب هذه المزايا العظيمة مع التحذير من البدع وأهل البدع وخطورة صاحبها وبيان غربة الإسلام وفضل الغرباء المتمسكين بهذا الدين وغير ذلك من الأصول العظيمة، فهذه الرسالة تعتبر منهج يسير عليه المسلم عامةً على منهاج السلف الصالح رضي الله عنهم، وهو مفيد للدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ليتجنبوا الوقوع في خلاف ما عليه السلف، فالداعية خاصة ينبغي عليه أن يتسلح بالعلم الشرعي على منهاج السلف الصالح حتى يدعو إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة – أي علم -.
وطريقتنا في التعليق هو ذكر مقصود الباب ثم بيان وجه الدلالة من النصوص دون التوسع في الشرح؛ لأن القصد هو معرفة ما وجه استدلال الإمام بهذه النصوص على الباب الذي يذكره.

"بِسْمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ
وبِهِ نَسْتَعِينُ
(بابُ فَضْلِ الإِسْلَامِ)" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة: -والترجمة هو ما يجعل عنوانًا لما بعده من كلام يترجم عنه أي يبين مضمونه -
هو بيان محاسن هذا الدين الإسلامي العظيم ومزيته على غيره بما اختص به من فضائل، وفي كتب العلم يذكر فيها ما يعرف بكتاب كذا باب كذا فيقال كتاب التوحيد باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، فالكتاب يراد به موضوع رئيسي، وأما الباب هو ما يتفرع عن هذا الموضوع الرئيسي من مباحث تدخل في هذا الموضوع فكتاب التوحيد يراد به جمع النصوص الواردة في موضوع توحيد الله عز وجل ويتفرع عن هذا الكلام في بيان فضل التوحيد وفضل أهل التوحيد والتحذير من الشرك وما يتعلق بهذا الموضوع، وفي علم الفقه تجد الفقهاء يقولون كتاب الطهارة باب الآنية، فكتاب الطهارة معناه المواضيع المتعلقة بالطهارة، ومن ضمن ما يدخل في الطهارة هي الوسيلة التي تستعمل للطهارة مثل الأواني فناسب أن يذكر باب متفرع عن كتاب الطهارة في نفس الموضوع يتكلم عن أحكام هذه الآنية، ويقال باب الاستنجاء، لأن الاستنجاء من الطهارة فتذكر النصوص أو المسائل المتعلقة بالاستنجاء، ويقال باب الحيض فتذكر النصوص المتعلقة بالحيض والمسائل المتعلقة به تحت

باب الحيض الذي يندرج تحت كتاب الطهارة أي موضوع الطهارة، وهكذا فالكتاب يراد به موضوع معين والأبواب هي المباحث والمسائل المتفرعة عن هذا الموضوع المعين فتذكر النصوص والمسائل والآثار تحت هذا الباب.

ومعنى الفضل أي الزيادة، أراد المصنف رحمه الله تعالى أن يبين لك ما يتميز به هذا الدين من فضائل فضله الله عز وجل به عن غيره واختصه به كما سيأتي من الأدلة.

وفضل الإسلام على نوعين:

فضل الإسلام على غيره من الأديان، فإن الله لا يقبل غيره من الأديان كما سيأتي فهذا مما يبين مزيته على غيره من الأديان.

فضل الإسلام على أهله، فهذا الإسلام له محاسن منها على سبيل المثال:

- هدايتهم إلى الحق والطريق المستقيم، فالذي لا يلتزم بهذا الدين فهو ضال منحرف عن الطريق.
- الفوز بالجنة والنجاة من النار، فلا يدخل الجنة إلا المسلمون، وإن دخل النار عصاة المسلمين من الموحدين لم يخلدوا فيها لفضل التوحيد الذي عندهم.
- حصول السكينة والطمأنينة للمتمسكين بهذا الدين.
- تخلقهم بالأخلاق العالية والفضائل الراقية كالعفة والأمانة والرحمة، فكم اهتدى من الكفار بسبب أخلاق أهل الإسلام.

-وحدتهم وأخوتهم فالإسلام يربط الأجناس المختلفة فيكونوا إخوة في الدين وقوة واحدة ولا فرق بينهم بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أحمر إلا بالتقوى.

- العدل والمساواة.
- الثواب على الأعمال الصالحة بأجور مضاعفة ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثالِها وَمَن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجزى إِلّا مِثلَها وَهُم لا يُظلَمونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]
- الحفظ والحماية فالإسلام جاء بحفظ الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.
- غفران الذنوب واستبدالها بحسنات، وغير ذلك من المزايا والمحاسن، ومن أراد الاستزادة فلينظر في كتاب العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى الموسوم باسم [الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي].

وقوله الإسلام: الإسلام إذا ذكر منفردًا في سياق دون ذكر الإيمان والإحسان فيدخل فيه معنى الإيمان والإحسان فيكون المقصود بالإسلام هو: الدين أو الشريعة التي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم المشتملة على أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان.

وإذا ذكروا في سياق واحد فلكل مصطلح معناه الخاص به.

فالإسلام يراد به الأعمال الظاهرة وهي أركان الإسلام.

والإيمان يراد به الأعمال الباطنة وهي أركان الإيمان.

والإحسان هو مرتبة إتقان الأعمال الظاهرة والباطنة للوصول لدرجة العبودية بمقام المشاهدة أو المراقبة.

وتعريف الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله.

فهذا هو التعريف المعتمد الذي ذكره الإمام رحمه الله في رسائله.

والانقياد لله بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله هي ثمرة الاستسلام لله بالتوحيد.

قال المصنف رحمه الله تعالى:
(١) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دينًا﴾ [المائدة: ٣]
(٢) وقَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿قُل يا أَيُّهَا النّاسُ إِن كُنتُم في شَكٍّ مِن ديني فَلا أَعبُدُ الَّذينَ تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ..﴾ [يونس: ١٠٤] الآيَةَ.
(٣) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنوا بِرَسولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَحمَتِهِ..﴾ الآية [الحديد: ٢٨]
(٤) وفي الصحيحِ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِن صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ أَجْرًا؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا.
قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

(٥) وفيهِ أَيْضًا عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٦) وفيهِ تَعْلِيقًا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» انْتَهَى.

(٧) وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالسبيلِ والسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِن عَبْدٍ على سبيلٍ وسُنَّةٍ، ذَكَرَ الرحمنَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِن خشيةِ اللَّهِ، فَتَمَسُّهُ النارُ، وليسَ مِن عبدٍ على سبيلٍ وسُنَّةٍ، ذَكَرَ الرحمنَ فاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِن خشيةِ اللَّهِ إِلَّا كانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شجرةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ كذلكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الريحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، كَمَا تَحَاتُّ عَنْ هذهِ الشجرةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا في سبيلٍ وسُنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلافِ سبيلٍ وسُنَّةٍ.
(٨) وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ كَيْفَ يُغْبَنُونَ سَهَرَ الحَمْقَى وَصَوْمَهُمْ، ولَمِثْقَالُ ذرةٍ من بِرٍّ مَعَ تَقْوَى ويَقِينٍ، أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وأَرْجَحُ من أمثالِ الجبالِ عبادةً من المُغْتَرِّينَ " اهـ

الشرح: ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب ثمانية أدلة ليبين فيها مزية هذا الدين الإسلامي على غيره:

فالدليل الأول: يدل على مقصود الترجمة في قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فالدين قد كمل وبلوغ الكمال فضل من الله سبحانه وتعالى فهذا دين كامل، إذن يدل على فضله على غيره من الأديان التي لم تكمل؛ وكماله: لأن هذا الدين آخر الأديان ولن يكون هناك دين بعده، ولن يكون هناك نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ليكمل ما نقص في هذا الدين، وقد بلّغ النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله بتمامه فما من خير يقربنا من الله إلا

ودلنا عليه وما من شر يبعدنا عن الله إلا وحذرنا منه.
وقوله سبحانه ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ أي بهذا الدين، فهذا الدين الإسلامي هو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة وتود جميع الأمم السابقة حينما يرون فضل هذه الأمة وما لها من رفعة وسنا يوم القيامة أنهم كانوا من أمته صلوات ربي وسلامه عليه.
وقوله سبحانه ﴿ورضيتم لكم الإسلام دينا﴾ فهذا الدين الإسلامي رضيه الله لنا وما رضيه الله من الأديان فهو أفضلها وأكملها وخيرها فالواجب اتباعه وترك ما سواه من الأديان كما سيأتي في الباب الذي يليه.

والدليل الثاني: الآية هي خطاب للمشركين بقوله ﴿يا أيها الناس..﴾، والشاهد منها قوله ﴿قُل يا أَيُّهَا النّاسُ إِن كُنتُم في شَكٍّ مِن ديني فَلا أَعبُدُ الَّذينَ تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ وَلكِن أَعبُدُ اللَّهَ الَّذي يَتَوَفّاكُم..﴾ [يونس: ١٠٤] الدين المقصود هنا هو دين الإسلام، ففيه بيان فضل دين الإسلام أن معبودهم الذي يعبدونه وتأله قلوبهم هو الله سبحانه وتعالى المتفرد بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات العلية.
أما المشركين فمعبوداتهم ناقصة باطلة لا تضر ولا تنفع.

والدليل الثالث: الشاهد منه حصول مضاعفة الجزاء على الإسلام، فعظمة الجزاء يدل على فضله ومزيته،
فالآية الأولى: خطاب للمؤمنين، والثانية: للمشركين.
والثالثة: لمؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، إن آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ودخلوا دين الإسلام أعطاهم الله كفلين أي ضاعف لهم الأجر أجرين بإيمانهم السابق بالأنبياء والرسل، وأجر إيمانهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دينه، فيكون جزاؤهم رحمتهم في الدنيا والآخرة، وأن يرزقهم الله نورًا يسيرون به يميزون به بين الحق والباطل.
وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ له الأمَةُ، فيُعَلِّمُها فيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، ويُؤَدِّبُهَا فيُحْسِنُ أدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أجْرانِ، ومُؤْمِنُ أهْلِ الكِتابِ، الذي كانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَهُ أجْرانِ، والعَبْدُ الذي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، ويَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ» [صحيح البخاري (ح٣٠١١) وهذا لفظه، مسلم (ح١٥٤)]

والدليل الرابع: أخرجه البخاري (ح٢٢٦٨)] الشاهد منه في آخره وهو قوله «ذلك فضلي أوتيه من أشاء»، فمن فضِل دين الإسلام على غيره أن أهلَهُ يعملون العمل القليل بأجورٍ مضاعفة؛ والله سبحانه لم يبخس الأمم السابقة حقهم بل أعطاهم ما وعدهم ووفاهم أجورهم بغير نقصان، وأما مسألة التفضيل فذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من خلقه، وهذا الحديث مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لبيان فضل هذه الأمة المحمدية الإسلامية على غيرها من الأمم، والقيراط قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في [فتح الباري (٤/ ٤٤٦)]:" والمراد بالقيراط النصيب، وهو في الأصل نصف دَانِقٍ، والدَّانِقُ سُدُسُ درهم" اهـ.

والدليل الخامس: الشاهد منه في آخره وهو قوله «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فهذه الأمة آخر الأمم ولن يكون بعدها أمة وقد جاء في الحديث عند الترمذي بإسناد حسن عن معاوية بن حَيْدَة

القشيري رضي الله عنه أَنَّهُ سمِعَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في قولِهِ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللَّهِ» [سنن الترمذي (ح٣٠٠١)].
أنتم خيرها وأكرمها على الله: يعني بما أعطاها الله سبحانه وتعالى من منزلة رفيعة وفضائل جمة، فهذه الأمة المحمدية: رسولها خليل الله، وأحب الرسل إليه، وصاحب الشفاعة العظمى، وهو أفضل البشر، والصحابة أفضل أصحاب الأنبياء والرسل مقابل أصحاب الأنبياء والرسل في الأمم السابقة، وهذه الأمة أول من تدخل الجنة، ولا يخلد عصاتها من الموحدين في النار، أعمارهم قصيرة وأجورهم مضاعفة كثيرة، والحسنة عند الله تكتب عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف، إلى غير ذلك من الفضائل وذلك فضل من الله ونعمة.
والمقصود أن هذه آخر أمة لن يكون بعدها أمة، وهي أول الأمم دخولًا للجنة فضلًا من الله وتكرمة لهذه الأمة.

والدليل السادس: قوله (وفيه تعليقًا)، أي في صحيح البخاري، وقوله تعليقًا هذا مصطلح من مصطلحات أهل الحديث يعرف باسم المعلق، وتعريف المعلق هو: ما حذف من مبدأ إسناده راوٍ أو أكثر. وله ثلاثة صور مذكورة في مظانها من علم المصطلح.
وهو على نوعين:
- معلق مجزوم به، فيروى الحديث بصيغة الجزم وللمحدثين صيغ منها: قال، ذكر، روى.
- معلق غير مجزوم به، فيروى الحديث بصيغة التمريض فيروونها بقولهم: ويقال، يُذكر، يُروى. ونحو ذلك من الألفاظ التي تشعر بعدم الجزم بصحة الحديث.
وعزو هذا الحديث لصحيح البخاري لا بد أن يكون مقيدًا فيقال ورواه البخاري في صحيحه معلقًا، لأن إطلاق العزو إلى صحيح عند المحدثين يراد به الأحاديث المتصلة المسندة التي رواها الإمام البخاري رحمه الله تعالى على شرطه، والمعلق ليس على شرطه، فلا بد من التقييد بقولنا: ورواه البخاري معلقًا في صحيحه، وهو مذكور في كتاب الإيمان/ باب الدين يسر، معلقًا بصيغة الجزم.
والحديث وصله الإمام البخاري في خارج صحيحه في كتابه [الأدب المفرد (ح٢٨٧)] قال: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ**، عَنْ دَاوُدَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عز وجل؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».
وإسناده ضعيف فإن فيه محمد بن إسحاق رحمه الله وهو معروف بالتدليس ولم يصرح بالتحديث، لكن الحديث له شواهد مراسيل لا تخلو من ضعف يَعضد بعضها بعضًا فيتحسن الحديث بشواهده، أنظر
[تمام المنة للألباني (٤٤-٤٥)]
وقوله: الحنيفية، هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وملة جميع الأنبياء والرسل، ومعنى الحنيفية: هي الميل والإقبال الشديد على الله تعالى بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله.
وقوله: السَّمْحَة، أي السهلة.
فوجه الدلالة من الحديث: أنَّ أحبَّ الأديان إلى الله سبحانه هو الحنيف السمح وهذا الوصف ينطبق على دين الإسلام دون غيره من الأديان، وإن الوصفان إن اجتمعا في دين دل على فضله ومزيته عن غيره.

الدليل السابع: أخرجه ابن المبارك في [الزهد (٢/ ٢١-٢٢)] وعنه ابن أبي شيبة في [المصنف (٧/ ٢٢٤)]

ووجه الدلالة منه: أن فيه فضل البكاء من خشية الله سبحانه وتعالى فيجازى العبد بأن يحرمه الله على النار وشاهد ذلك ما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عَينانِ لا تَمَسَّهما النَّارُ: عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ» [الترمذي (ح١٦٣٩)]
وكذلك فيه فضل مغفرة الذنوب عن العبد، فاجتماع حرمة النار ومحو الذنوب عمن خشي الله سبحانه وتعالى دال على مزية هذا الدين وفضله على غيره.
وقوله: السبيل والسنة، كلاهما بمعنى الطريق فالمقصود أن من كان على طريق الكتاب والسنة أي دين الإسلام الصحيح، أما الذين خالفوا دين الإسلام من أهل الملل ومن أهل البدع فهم غير داخلين في هذا الفضل، فالعبرة هو أن يكون عملك ولو كان قليلًا موافقًا للكتاب والسنة، وأما العمل الكثير المخالف للكتاب والسنة فهو مردود على فاعله غير مقبول عند الله سبحانه وتعالى.

وأما الدليل الثامن: أخرجه أبو نعيم في [حلية الأولياء (١/ ٢١١)] وأحمد في [الزهد (١١٣)] وفي إسناده ضعف لجهالة الراوي بين أبي سعيد الكِنْدِي وأبي الدرداء رضي الله عنه.
وهذا الأثر مشابه لأثر أبي بن كعب رضي الله عنه الشاهد منه: "ومثقال ذرة مع برٍّ وتقوى ويقين، أعظمُ وأفضلُ وأرجحُ عند الله من عبادة المغترين"، ففيه دلالة على مضاعفة الأجور مع قلة العمل إن وافق الكتاب والسنة، ولأن يكون العمل قليلًا مع إخلاص لله سبحانه ومتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا إحسان للعمل، خير من عمل كثير مع رياء وسمعة أو مخالفة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، فشتان بين من يعمل الصالحات ويخفي أعماله وهو محسن، وبين من يقوم الليل ويصوم النهار ويغتر بنفسه ويرائي بعمله، وبين من عمله قليل دائم موافق للكتاب والسنة وبين من عمله كثير مخالف للكتاب والسنة.
والأكياس: جمع كيّس أي العاقل، يقال رجل كيّس أي رجل عاقل حازم، وقوله: يغبنون: الغبن: هو فوات الشيء مع القدرة عليه، فمن فضل الإسلام أنه يجازي على العمل القليل بمضاعفة الأجور.
وقد يقول قائل: لماذا يذكر الإمام الآثار الضعيفة؟ فالجواب: أنه يذكرها من باب الاستئناس واعتضادها بغيرها من الأدلة لا من باب الاحتجاج والاعتماد عليها لذاتها، أي أنها ليست هي الأساس والعمدة عنده في الباب لكن تذكر لدعم المعتمد الصحيح، وهذه جادة أهل العلم من قديم وحديث فالعبرة عندهم الآيات والأحاديث الصحيحة وما يُذكر في الباب من أخبار ضعيفة فهي تذكر من باب الاستئناس لا الاحتجاج.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "(بابُ وجوبِ الإِسْلَامِ)" اهـ.

الشرح: مقصود الترجمة: بيان وجوب الدخول في دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان، والواجب هو ما أُمِرَ به العبد على وجه الحتم والإلزام، وحكمه: يثاب فاعله امتثالًا ويعاقب تاركه.
فيجب على الخلق كلهم أن يدخلوا في دين الإسلام ويلتزموا بأوامره ونواهيه، وقد ذكر الإمام الأدلة على أن هذا الدين الإسلامي هو الواجب اتباعه بعدما ذكر مزايا هذا الدين في الباب السابق.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(١) وقولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

(٢) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

(٣) وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ..﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآيةَ، قَالَ: مجاهِدٌ: السُّبُلُ البِدَعُ والشُّبُهَاتُ.

(٤) وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». أَخْرَجَاهُ، وفى لفظٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

(٥) وللبخاريّ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قِيلَ: وَمَنْ أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

(٦) وفى الصحيحِ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، ومُطَّلِبٌ دَمَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيق دَمَهُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قالَ شيخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قولُهُ (سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) يَنْدَرِجُ فيها كلُّ جاهليَّةٍ مُطْلَقَةٍ أو مُقَيَّدَةٍ، أي: في شخصٍ دونَ شخصٍ، كتابيَّةٍ أو وَثَنِيَّةٍ أو غيرِهِمَا. مِن كُلِّ مُخَالَفَةٍ لِمَا جاءَ بهِ الْمُرْسَلُونَ.

(٧) وفى الصحيحِ عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».

(٨) وعن محمدِ بنِ وَضَّاحٍ أَنَّهُ كانَ يَدْخُلُ المسجدَ، فَيَقِفُ على الحِلَقِ فيقولُ، فَذَكَرَهُ، وقالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن مُجَالِدٍ، عن الشَّعْبِيّ، عن مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عبدُ اللَّهِ يَعْنِي ابنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليسَ عامٌ إِلَّا والذي بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ، لا أَقُولُ: عامٌ أَمْطَرُ من عامٍ ولا عامٌ أَخْصَبُ من عامٍ، ولا أميرٌ خيرٌ من أميرٍ، لكنْ ذِهَابُ عُلَمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ يَحْدُثُ أَقْوَامٌ يَقِيسُونَ الأمورَ بِآرَائِهِمْ، فَيُهْدَمُ الإِسْلَامُ وَيُثْلَمُ»" اهـ

الشرح: ذكر الإمام ثمانية أدلة في هذا الباب ليبين وجوب الدخول في دين الإسلام وأنه لا يُقبَل غيره:

فالدليل الأول: دلالته على أن من لم يقبل هذا الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو خاسر ولن يقبل الله منه أي عبادة يتقرب بها على غير هذا الدين الإسلامي والشرع الذي جاء به رسولنا صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فدين اليهودية والنصرانية وغيره من الأديان واللأديان باطل مردود غير مقبول ولا يجوز العمل به بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يجب على كافة الخلق اتباع هذا الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ.» [مسلم (ح١٥٣)]

وقوله: من هذه الأمة، أي أمة الدعوة، فالأمة تنقسم إلى قسمين:

أمة الدعوة: وهم الإنس والجن كافة الموجودين عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها إلى قيام الساعة.

أمة الإجابة: وهم الذين اجابوا وقبلوا من أمة الدعوة فدخلوا دين الإسلام.

وذِكْرُ النصراني واليهودي من باب ذِكرِ الخاص بعد العام، فالخطاب عام لجميع الناس وإنما خصوا بالذكر لأنهم أولى بسرعة الاستجابة؛ لأنهم أهل كتاب ويعرفون أخبار الرسل ودلال صدق نبوتهم.
فكل من لا يقبل دين الإسلام فهو في النار خالدًا مخلدًا فيها.

الدليل الثاني: التصريح بأن الدين المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى هو دين الإسلام، أي الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما قبله الله ورضيه من الأديان دل هذا على وجوب اتباعه دون ما سواه من الأديان، فلا تتحقق العبادة الصحيحة لله سبحانه وتعالى التي خلقنا لها إلا بالتزام دين الإسلام.

الدليل الثالث: الصراط المستقيم هو دين الإسلام، والسبل هي الطرق المعوجة عن الطريق المستقيم، وهو شامل للملل وللمذاهب المنحرفة، فالطريق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واحد فمن انحرف عن الطريق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم انحرف عن الطريق الواجب اتباعه.
وثبت في الحديث الصحيح أن الصراط المستقيم يقصد به الإسلام وهو حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ضربَ اللهُ تعالى مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَي الصراطِ سورانِ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ! ادخلوا الصراطَ جميعًا ولَا تَتَعَوَّجوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قال: وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالى، وذلِكَ الدَّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقٍ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ» [صحيح الجامع (٣٨٨٧)]
فإذا تبين أن الطريق المستقيم هو دين الإسلام، قال الله ﴿فَاتَّبِعوهُ﴾ وهذا صيغة أمر والأمر يدل على الوجوب، وقوله سبحانه ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ..﴾ هذا نهي والنهي يدل على التحريم، فيدل على وجوب اتباع نقيضه وهو الصراط المستقيم أي الإسلام.
وقول مجاهد: السبل: البدع والشبهات، أي أنها من بعض أفراد هذه السبل المضلة: البدع والشبهات، المعاصي سبل، والملل الكفرية سبل، والمذاهب المنحرفة سبل، وقد خصها بالذكر لأنها أكثر ما يقع فيه المنتسبين لدين الإسلام فهم إن سلموا من الوقوع في سبل الملل الكفرية فقد لا يسلموا من الوقوع في سبل المذاهب البدعية، فالبدعة أكثر خطرًا وأكثر اشتباهًا وتلبسًا بالحق من غيره.

الدليل الرابع: فيه دلالة إن كان المحدَث في الدين مردود على فاعله غير مقبول منه، دل هذا على أن غير المحدَث في الدين إلتزامه واجب، فهي يفيدنا أنه يجب الالتزام بما جاء في دين الإسلام وعدم الإحداث فيه؛ لأنه دين كامل كما قال الله سبحانه ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم﴾.
فاللفظ الأول «من أحدث في أمرنا هذا...» حديث متفق عليه أي عند البخاري ومسلم والمتفق عليه هو ما كان لفظ الحديث ومخرج عن صحابي واحد، والمعنى: الذي ابتدع في الدين بدعة يزعم أنها من الإسلام فهي مردودة عليه ولو لم يعمل بها.
واللفظ الثاني «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا..» تفرد به مسلم عن البخاري، والمعنى: الذي يعمل بالبدعة ولو

لم يحدثها هو فعمله بهذه البدعة مردود عليه غير مقبول منه.
فهذا الحديث ميزان للأعمال الظاهرة، أي لا بد لقبول الأعمال أن تكون موافقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وفعله أو أمر به.

الدليل الخامس: فيه أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم دخول للجنة وعصيان الرسول دخول للنار، فأعظم مأمور أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم فيه هو الدخول في دين الإسلام وإفراد الله سبحانه بالعبادة، فطريق الجنة هو الدخول في دين الإسلام والالتزام بما فيه، وطريق النار هو عدم قبول دين الإسلام ولا الالتزام بما فيه، فهذا يدل على أن دخول الإسلام واجب.

الدليل السادس: الشاهد منه «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ»: فسُنَّة الجاهلية هي كل ما خالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فما كان قبل دين الإسلام فمن الجاهلية، وما كان بعد الإسلام مما يخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو كذلك من سنن الجاهلية، فالذي يبتغ في الإسلام سنة جاهلية من أبغض الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، ويقابل هذا سنن الإسلام: أي شعائره وفرائضه فهو أحب إلى الله سبحانه فدل هذا على وجوب الإسلام، فلا يسلم العبد من هذا البغض إلا بالالتزام بما جاء في دين الإسلام.
وقد ذكر الإمام رحمه الله تعالى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وفيه تفسير الجاهلية أن هناك جاهلية مطلقة وجاهلية مقيدة.
- فالجاهلية المطلقة هي التي كانت قبل الإسلام، فبعد الإسلام انتفت هذه الجاهلية المطلقة التي كان عليها المشركون قبل الإسلام.
- والجاهلية المقيدة هي التي تقيد بشخص دون شخص أو مكان دون مكان أو زمان دون زمان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فالجاهلية ليست عامة ومطلقة؛ لأنه لا بد أن يكون هناك ظهور لأهل الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق» وظهورهم يكون ظهور سيف وسنان أو يكون ظهور حجة وبيان.

الدليل السابع: قول حذيفة رضي الله عنه ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه (ح٧٢٨٢) موقوف عليه، والقُرَّاء في اصطلاح السلف يراد به العلماء العاملون بالكتاب والسنة، الشاهد منه قوله «استقيموا...» إلى آخره، كأنه منتزع من الآية السابقة وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه.. الآية، فهو على نفس المعنى، ففيه حث لهم على الثبات على الاستقامة ومعرفة حقيقتها وعدم الانحراف عنها، فالاستقامة يراد بها الاستقامة على الكتاب والسنة بالتفقه في الدين وملازمة السنة فهذا مؤداه أن يعرفوا حقيقة دين الإسلام فيتمسكوا به ولا ينحرفوا عنه، فالانحراف عن الإسلام خروج منه.
وأما الزيادة التي ذكرها ابن وضاح وهي قوله:" أنه كان يدخلُ المسجدَ، فيقفُ على الحِلَقِ.." فهي في كتاب ابن وضاح المسمى [البدع والنهي عنها] وإسناده صحيح، وابن أبي شيبة في [مصنفه (أثر ٣٤٨٠١) (٧/ ١٣٩)].

الدليل الثامن: أثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنه وفي إسناده ضعف لضعف مجالد وهو ابن سعيد الهمداني، وله طرق أخرى ضعيفة يُعتضَد بها فيُحسن الحديث لغيره، وله شاهد

صحيح في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه لما شُكِيَ إليه ما يلقون من الحجاج قال: «اصْبِرُوا؛ فإنَّه لا يَأْتِي عليْكُم زَمَانٌ إلَّا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه، حتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ. سَمِعْتُهُ مِن نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ» [صحيح البخاري (ح٧٠٦٨)].

والشاهد من أثر ابن مسعود رضي الله عنه هو قوله: «لكنْ ذِهَابُ عُلَمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ يَحْدُثُ أَقْوَامٌ يَقِيسُونَ الأمورَ بِآرَائِهِمْ، فَيُهْدَمُ الإِسْلَامُ وَيُثْلَمُ».

فالثلم: أي الخلل، ويقع الخلل في الإسلام بذهاب العلماء والأخيار، فسر بقاء هذا الدين هو بقاء العلم بين الناس فإن ذهب العلم وأهله اتخذ الناس رؤوسًا جُهّالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلّوا غيرهم فصار هذا ثلمة في الإسلام، لذا يقال أن موت العالم ثلمة من ثلم الإسلام أي ثغرة انشقت، فكلما كثر موت العلماء كلما توسعت هذه الثغرة حتى يذهب هذا الدين، لذا وجود العلماء دلالة وعلامة خير وذهاب العلماء دلالة وعلامة شر، والذب عن العلماء والكف عن مساويهم ذب عن الدين وحفظ للدين، وإسقاط العلماء إسقاط للدين.

إذن بقاء الدين مرتبط بالتزامنا بهذا الدين ومن بعض أفراد التزامه هو تعلم العلم فتعلم العلم إبقاء للإسلام وحفظٌ له.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "(بابُ تَفْسِيرِ الإِسْلَامِ)" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة بيان ما هو الإسلام؟ فالباب لتوضيح الإسلام، وقد سبق للإمام أن بين فضله، ودلل على وجوبه فناسب أن يبين معناه ويبين حقيقته.

والإسلام بالمعنى العام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخُلُوص من الشرك وأهله.

وعلى هذا فالدين الذي جاء به الأنبياء والرسل كلهم هو الإسلام على هذا المعنى العام.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أي الشريعة التي جاء بها صلوات ربي وسلامه عليه، وحقيقة هذا الإسلام بالمعنى الخاص أنه يشتمل على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: الإسلام وهو أركان الإسلام الخمسة أي الأعمال الظاهرة.

والمرتبة الثانية: الإيمان وهو أركان الإيمان الستة أي الأعمال الباطنة.

والمرتبة الثالثة: الإحسان وهو مرتبة إتقان الأعمال الظاهرة والباطنة.

فإن ذكروا في سياق واحد دل كل مصطلح على معنى منفرد وهو الذي ذكره أنفًا، وإن ذكر مصطلح لوحده فهو دال على بقية المصطلحات، فالإسلام يشمل الإيمان والإحسان، والإيمان يشمل الإسلام والإحسان، والإحسان يشمل الإيمان والإسلام.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

"(١) وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن حاجّوكَ فَقُل أَسلَمتُ وَجهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ...﴾ الآية [آل عمران: ٢٠]

(٢) وفي الصحيح عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، أَنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الحرام إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». متفق عليه.

(٣) وفيهِ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».
(٤) وعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عن جَدِّهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وَأَنْ تُوَلِّيَ وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.
(٥) وعن أبي قِلَابَةَ، عن رَجُلٍ من أهلِ الشامِ، عن أبيهِ أَنَّهُ سألَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ وَيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ» قَالَ: أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ»، قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ»" اهـ.

الشرح: ذكر المصنف خمسة أدلة ليبين المقصود من هذه الترجمة:
الدليل الأول: الآية فيها بيان حقيقة ما هو الإسلام، وهو إسلام الوجه لله تعالى أي الاستلام لله تعالى بالتوحيد وهذا أعظم استسلام لله سبحانه، وهو بالمعنى العام للإسلام ففيه الاستسلام لله تعالى بالأعمال الظاهرة والباطنة؛ لأن الإسلام إذا ذكر وحده شمل الإيمان والإحسان، فالآية نزلت حينما جاء نصارى أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاجوه وناقشوه في صحة دينهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ليبين لهم أن الدين عند الله سبحانه هو الإسلام وأنه أسلم وجهه لله سبحانه وهو أعظم استسلام لله تعالى بالانقياد إليه باطنًا وظاهرًا ومن اتبعه من المسلمين ولا يقبل الله غيره من الأديان.

الدليل الثاني: فيه تفسير لدين الإسلام وهو بالمعنى الخاص أي الدين الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم والحديث فيه بيان حقيقة الإسلام بذكر أركان الإسلام الخمسة أي الأعمال الظاهرة، ويعرف الإسلام بذكر حقيقته، فمن أتى بالأعمال الظاهرة فهو المسلم وهذا هو دين الإسلام، وبقي لصحة إسلامه أن يذعن بقلبه لله تعالى ويعمل بالأعمال الظاهرة وهي أركان الإيمان الستة فمن حقق ذلك صح تدينه.

الدليل الثالث: فيه تفسير للإسلام وأن الإسلام ليس مقصورًا على الاتيان بالأركان الخمسة، وأن الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده هو مسلم كامل الإسلام وأما الذي لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فهو مسلم ناقص الإسلام، فالإسلام له كمال واجب ومنه ما هو كمال مستحب، فالكمال الواجب مرتبط بالواجبات الشرعية التي لا يصح الدين إلا بالاتيان بها كالصلوات الخمس وصوم رمضان وإعطاء الزكاة ونحو ذلك من الواجبات التي الإخلال بها يكون نقص في الواجبات ويأثم تاركها، ومن ذلك سلامة المسلمون من أذى المسلم سواء كان بلسانه أو يده فمن آذاهم فهو آثم، وأما الكمال المستحب فهي النوافل والسنن التي من أتى بها نال زيادة في الأجر والفضل، وإن لم يأتِ بها فلا إثم عليه لكن فاته الخير.
فهذا الدليل فيه بيان أن من ثمار الإسلام والاستسلام لله تعالى سلامة المسلمون من لسان ويد المسلم.

الدليل الرابع: وجه الدلالة منه أن الصحابي رضي الله عنه سأل عن الإسلام ففسره رسول الله صلى الله عليه وسلم له بإسلام القلب لله وتولية الوجه إليه وهذا هو حقيقة الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد. وهو أساس الإسلام فإن حصل ذلك لزم من العبد قبول ما شرعه الله سبحانه وهو الاتيان بالفرائض وذكر أشهر تلك

الفرائض وهي الصلاة والزكاة فإقامتك للصلاة وأداؤك للزكاة دليل على إذعان ظاهرك وباطنك لله سبحانه وهذا هو الإسلام فمن لم يأتِ بها فليس بمسلم وهذا تفسير للإسلام.

والدليل الخامس: ودلالته على المقصود كما سبق في الدليل الثالث والرابع، ففيه تفسير الإسلام وهو الاستستلام لله بالتوحيد.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(١) بابُ قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ..﴾ الآية [آل عمران: ٨٥]

الشرح: مقصود الترجمة بيان أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله سبحانه ولا يقبل غيره من الأديان، ففيه إبطال لجميع الأديان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(٢) "وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

(٣) وفى الصحيح عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أَنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» وَرَوَاهُ أَحْمَدُ." اهـ.

الشرح: ذكر الإمام لبيان مقصوده من الترجمة ثلاثة أدلة:

فالدليل الأول: هي الآية في الباب، والابتغاء أي الطلب والاتخاذ، فأخبر الله سبحانه أن كل من يطلب دينًا غير دين الإسلام فهو غير مقبول وصاحبه من الخاسرين، وفي هذا رد واضح على أولئك الذين يزعمون أنهم مسلمون ويصححون بقية الأديان بدعوى الإنسانية وأنها كلها أديان يتقرب بها إلى الله سبحانه.

فهذه دعوى صريحة المخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى.

والدليل الثاني: الحديث وفي إسناده ضعف لأنه من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة رضي الله عنه وجمهور أهل الحديث على عدم سماع الحسن من أبي هريرة وبالتالي فالحديث معل.

والشاهد منه «ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي..»، فقوله: بك اليوم آخذ، من الأخذ وهو العقوب والعذاب، وبك أعطي أي أتكرم وأتفضل، فالإسلام هو الميزان.

ففي الحديث دلالة على أن الأعمال كالصلاة والصيام والصدقة قبولها عند الله متوقف على صحة الإسلام فلا يقبل الله سبحانه من الأعمال إلا إن صح إسلام المرء، وهي – الأعمال- تأتي يوم القيامة تتسابق للشفاعة لكن شفاعتها تُردُ ولا تُقبل إلا إن صح إسلام المرء.
فالذي يتقرب إلى الله سبحانه بالصلوات والصدقات والصيام لكنه على غير دين الإسلام فعمله غير مقبول، والذي ينسب لدين الإسلام ويصلي ويصوم ويزكي ويتصدق لكن عنده انحراف في الإسلام بوقوعه في نواقض من نواقض الإسلام كالانحراف في التوحيد أو الانحراف في العقائد المعلومة من الدين بالضرورة كالذين ينفون العلو وينفون كلام الله تعالى على الحقيقة، ويقولون أن القرآن مخلوق ونحو ذلك من الكفر والضلال المبين أن أعمالهم غير مقبولة حتى يصححوا إسلامهم فيكونوا على الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبول الأعمال متوقفة على صحة الإسلام وقراءة النبي صلى الله عليه وسلم للآية تصديق لمعنى الحديث أن النجاة والخسران والجنة والنار متوقف على صحة الإسلام.

والدليل الثالث: الشاهد منه قوله «ليس عليه أمرنا فهو رد»، والمراد بالأمر: الإسلام، فكل ما يخالف دين الإسلام فهو مردود سواء كان من الأديان، أو كان من الأقوال والأفعال المنسوبة لدين الإسلام -وليست منه- فكلها مردودة.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى:" (بَابُ وُجُوبِ الِاسْتِغْنَاءِ بِمُتَابَعَةِ الكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ)" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة بيان أن دين الإسلام دين كامل وأنه يغني الناس من أن يحتاجوا لشريعة تكمل النقص الذي فيه، فهذا الدين الإسلام من مزاياه أنه كامل لا نقص فيه، فمن استغنى به كفاه عما سواه، ولأن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان وهي آخر الشرائع لذا جاءت كاملة شاملة لكل ما يحتاجه الناس فيما يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى، فأراد المصنف أن يبين أن يجب الاستغناء بالقرآن فهو ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها كما قال الله سبحانه﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ ...﴾ [المائدة: ٤٨]
الكتاب= القرآن
الاستغناء= الاكتفاء

قال المصنف رحمه الله تعالى:
(١) وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبيانًا لِكُلِّ شَيءٍ ...﴾ الآية [النحل: ٨٩]
(٢) رَوَى النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَقَةً من التوراةِ، فقالَ: " أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً, وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ " وَفِي رِوَايَةٍ:" لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي " فَقَالَ عُمَرُ: رَضِيتُ باللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا." اهـ

الشرح: ذكر المصنف لبيان مقصود الترجمة دليلين:

الدليل الأول: الآية، الشاهد منها قوله سبحانه ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ففيها بيان أن القرآن موضِّحٌ لكل ما يحتاجه العباد مما يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى من حلال وحرام، فكونه واضحًا إذن هو يغني عن كل ما سواه، وليس معنى هذا عدم الأخذ بالسنة كما يقول النكرانيون -وهم كفار- أو عدم الأخذ بأقوال السلف، لأن السنة وكلام السلف داخل في معنى الأخذ بالكتاب فالله عز وجل أنزل الكتاب وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ببيانه للناس قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سُورَةُ النَّحْلِ: ٤٤]، وقال ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سُورَةُ النَّحْلِ: ٦٤] وهذه هي السنة فالأخذ ببيان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالقرآن ورد سنة النبي صلى الله عليه وسلم رد للقرآن، والسلف هم أعلم الناس بكلام الله وبكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فالأخذ بقولهم مقدم على الأخذ بقول غيرهم ممن جاء بعدهم.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى:" وقوله: ﴿ونزَّلْنا عليك الكتابَ تبيانًا لكلِّ شيءٍ﴾: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العبادُ؛ فهو مبيَّن فيه أتمَّ تبيين، بألفاظ واضحةٍ ومعانٍ جليَّةٍ، حتى إنَّه تعالى يُثَنِّي فيه الأمور الكبار التي يحتاجُ القلب لمرورها عليه كلَّ وقتٍ وإعادتها في كلِّ ساعةٍ ويعيدُها ويُبديها بألفاظٍ مختلفةٍ وأدلَّةٍ متنوعةٍ لتستقرَّ في القلوب فتثمرَ من الخير والبرِّ بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرةً يكون اللفظُ لها كالقاعدة والأساس. واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تُحصر.

فلما كان هذا القرآن تبيانًا لكلِّ شيءٍ؛ صار حجَّة الله على العباد كلِّهم، فانقطعت به حجَّةُ الظالمين، وانتفع به المسلمونَ، فصار هدىً لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودُنياهم ورحمةً ينالون به كلَّ خير في الدُّنيا والآخرة؛ فالهدى ما نالوا به من علم نافع وعمل صالح، والرحمة ما ترتَّب على ذلك من ثواب الدُّنيا والآخرة؛ كصلاح القلب وبرِّه وطمأنينتِهِ، وتمام العقل الذي لا يتمُّ إلاَّ بتربيتِهِ على معانيه التي هي أجلُّ المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقَوْل والفعل ونَيْل رضا الله تعالى وكرامتِهِ العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلاَّ الربُّ الرحيم." اهـ [تفسيره/ سورة النحل (آية ٨٩)]

الدليل الثاني: عزاه المصنف للنسائي وغيره، وليس هو في السنن الصغرى ولا الكبرى للنسائي التي في أيدي الناس، وهو مروي عند أحمد في مسنده والدارمي في مسنده وابن أبي عاصم في السنة، وفي إسناده ضعف للكلام في مجالد ابن سعيد الهمداني، وقد حسنه وقواه الألباني رحمه الله تعالى لشواهده كما في تخريجه له في [إرواء الغليل (٦/ ٣٤) (ح ١٥٨٩)].

الشاهد منه قوله «أمتهوكون... لقد جئتكم بها بيضاء نقية» وقوله «لو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني ضللتم» وقوله «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»، فيه إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عمر رضي الله عنه حينما رأى في يده صحيفة من التوراة فسأله استنكارًا أمتهوك أي أمحتارٌ أنت بالحق!؟ وأخبره بأنه جاء بهذه الشريعة بيضاء نقية أي واضحة وكاملة وصافية من أي شائبة وهذا يفيد الاستغناء بما في القرآن عن كل ما سواه من الكتب.

وأخبر أن موسى عليه الصلاة والسلام لو كان حيًا ما جاز له أن يعمل إلا بالشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الحال مع الأنبياء إذن من باب أولى أن من كانو دون الأنبياء أن يتبعوا هذا الدين ويستغنوا به عن كل ما سواه لأنه دين شامل كامل لا نقص فيه.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى:" (بابُ ما جاءَ في الخروجِ عن دَعْوَى الإِسْلَامِ)" اهـ

الشرح: أي ما حكمه؟ فمقصود الترجمة بيان حكم الخروج عن دعوى الإسلام بالانتساب لغيره فيعقد الولاء والبراء على ذلك، فيتعصب المرء ويعقد الولاء والبراء لبلد أو مذهب أو معتقد أو قبيلة بما يخالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهذه من فعل الجاهلية، ودعوى الإسلام أي الأسماء الدينية التي سماها الله سبحانه وتعالى عباده كالمسلمين والمؤمنين والمحسنين والعباد وعباد الله، ويدخل في ذلك التسميات الدينية الشرعية التي جُعلت بمقابل تسميات أهل الباطل، مثل أهل السنة وأهل الأثر والأثريون وأهل الحديث والسلف والسلفيون فهذه كلها تسميات حق ومشروعة لأنها قائمة على الحق.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(١) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمّاكُمُ المُسلِمينَ مِن قَبلُ وَفي هذا..﴾ الآية. [الحج: ٧٨]

(٢) عن الحارثِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعِ والطَّاعَةِ وَالْجِهَادِ وَالهِجْرَةِ وَالجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مَنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ: قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) وفى الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ».

(٤) وَفِيهِ «أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ».

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: كُلُّ ما خَرَجَ عن دَعْوَى الإِسْلَامِ والقرآنِ مِن نَسَبٍ أو بَلَدٍ أو جِنْسٍ أو مَذْهَبٍ أو طَرِيقَةٍ فهو

مِن عَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ، بل لَمَّا اخْتَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنْصارِيٌّ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لِلْمُهَاجِرِينَ،! وقال الْأَنْصَارِيُّ: يا للأنصارِ! قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وَغَضِبَ لذلكَ غَضَبًا شَدِيدًا. انْتَهى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى." اهـ

الشرح: ذكر المصنف رحمه الله ليبين مقصوده من الترجمة أربعة أدلة:

فالدليل الأول: وجه الدلالة من الآية أن الله سبحانه سمى عباده الذين يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه بالمسلمين، فالتسمي بغير هذا الاسم الذي سمانا الله به يعتبر خروج عن دعوى الإسلام أي الانتساب الشرعي، وكل ما كان فيه خروج عن الانتساب للمسمى الشرعي فهو محرم ومن فعل الجاهلية.
وقول الله سبحانه ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسلِمِينَ مِن قَبلُ..﴾ يعني الله هو الذي سمانا بالمسلمين، من قبل أي مذكورون في الكتب السابقة، ﴿وفي هذا..﴾ أي في هذا الكتاب وهو القرآن، فما زال هذا الاسم لنا قديمًا وحديثًا.

والدليل الثاني: قوله «فإنه من فارق الجماعة...» «ومن دعى بدعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم..» «فادعوا بدعوى الله الذي سماكم: المسلمين، والمؤمنين، عباد الله».
فيه دلالة على أن الادعاء والانتساب للمسميات الجاهلية والحَمِيَّة والعصبية للقبيلة والوطن والمذهب والطرق كالتي عند الصوفية ونحو ذلك كله يعتبر من مفارقة الجماعة وهذا فعل مذموم عقوبته أن فاعله خلع ربقة الإسلام من عنقه -والربقة هي ما توضع على عنق البهيمة لتمسكها- أي فقد خرج عن الجماعة التي سمانا الله سبحانه وهي جماعة المسلمين، وعقوبة من يفارق الجماعة أن مبيته ميتة الجاهلية أي كأهل الجاهلية.
ودعوى الجاهلية هو الانتساب لكل ما يخالف ما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ينسب إلى الجاهلية ففعله محرم وقوله فإنه من جثا جهنم أي من دعا بهذه الدعوات الجاهلية فهو من الجماعات التي تقذف في النار فالجُثا هي الحجارة المجموعة.
وفيه الأمر بالتسمي بما سمى الله به عباده كالمسلمين والمؤمنين وعباد الله فهذه هي دعوى الإسلام الشرعية، فينبغي عقد الولاء والبراء على الإسلام لا على الوطن والقبيلة والمذهب والنسب والحسب.

والدليل الثالث: فيه أن من أنواع دعوى الجاهلية المذمومة هو مفارقة الجماعة ومفارق الجماعة ميتته ميتة جاهلية، فترتب هذه العقوبة لهذا الفعل يدل على حرمة ذلك، فكل دعوى من دعاوى الجاهلية ومن ذلك الانتساب لغير الإسلام فاعله مفارق للجماعة مستحق للجزاء.
قوله «قِيدَ شِبْرٍ»: أي ولو بمقدار انحراف صغير جدًا.

الدليل الرابع: الحديث باللفظ الذي ذكره الإمام فيه ضعف وليس في الصحيح، فإن فيه علتان: الإرسال والجهالة.
فقد رواه الطبري في تفسيره: عن ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني **الثقة** عن زيد بن أسلم قال.. وذكر قصة اليهودي الخبيث شأس بن قيس.
وزيد بن أسلم إمام وتابعي جليل لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الكثير من الصحابة.

وفي الإسناد جهالة من حدث محمد بن إسحاق وهذه علة ثانية.
لكن الوارد في الصحيحين بلفظ: «ما بالُ دعوى الجاهلية!؟» وهذه قصة أخرى، ففي الصحيحين [البخاري (ح٤٩٠٥) ومسلم (ح٢٥٨٤)] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كُنَّا مع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فَقالَ الأنْصارِيُّ: يا لَلأَنْصارِ، وَقالَ المُهاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: **ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فَقالَ: دَعُوهَا، فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ...».
ففيه هذا الحديث وقعت دعوى جاهلية بالتعصب القبلي حينما كسع مهاجري وهو جهجاه بن قيس الغفاري رجل من الأنصار وهو سِنان بن وَبَرة، وكسع يعني ضرب مؤخرته ولا شك أن هذا الفعل محرم لا يجوز، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا فنادى يا للأنصار ونادى المهاجري يا للمهاجرين فاستغاث كل واحد منهما بجماعته، وهذه كانت في السنة السادسة من الهجرة في غزوة المُرَيْسيع – بني المُصطَلق-، والانتساب للمهاجرين والأنصار فخر وعز؛ فالمهاجرين هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا أموالهم وديارهم تمسكًا بدينهم، ووصفهم الله سبحانه بأنهم الصادقين، ووصف الأنصار بأنهم المفلحين فهم الذين آووا إخوانهم من المهاجرين وتقاسموا معهم ديارهم وأموالهم، فهؤلاء من خير الناس، ومع ذلك لما وقعت دعوى الجاهلية والتعصب القبلي غضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال ما بال دعوى الجاهلية فسمى هذا من دعاوى الجاهلية وسبب تسميتها بالجاهلية لأنه كان من شعار الجاهلية التعصب القبلي وللآباء وكانت القبائل تأخذ حقها بذلك فتسفك الدماء بغير حق، فجاء الإسلام وأبطل هذا، فإن كان الانتساب للأنصار والمهاجرين حميّة وتعصب قبلي وقع عليه الذم لأنه انعقد عليه الولاء والبراء لغير الإسلام فما بالك بما دونه فهو من باب أولى أشد نكارة.
وقوله «دعوها فإنها منتنة» أي دعوى الجاهلية بالتناصر القبلي والحميّة، فإنها منتنة مؤذية كريهة قبيحة تؤدي إلى الفساد وسفك الدماء.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: (بَابُ وُجُوبِ الدخولِ فِي الإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ)" اهـ
الشرح: مقصود الترجمة: بيان أنه يجب التسليم والإذعان وقبول كل ما جاء به دين الإسلام، فيقبل جميع شرائع الإسلام، فلا يقول أحد أنا سأصلي المكتوبات لكن لن أصوم شهر رمضان، أو يقول سأصلي وأصوم لكن لن أدفع الزكاة، أو يقول سأفعل الشرائع كلها إلا الجهاد فلا رغبة لي بالجهاد، أو يقول سأفعل جميع الفرائض لكن لن أترك شرب الخمر، بل يجب عليه التسليم والإذعان والعمل بكل ما جاء في شريعة الإسلام من الفرائض ويتجنب كل ما جاء تحريمه في دين الإسلام أما النوافل فيأتي منها المسلم بقدر ما يستطيع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فاجْتَنِبُوهُ، وما أمَرْتُكُمْ به فافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» [مسلم (ح١٣٣٧)].

قال المصنف رحمه الله تعالى:
"(١) وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادخُلوا فِي السِّلمِ كافَّةً..﴾ [البقرة: ٢٠٨]
(٢) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزعُمونَ أَنَّهُم آمَنوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ ...﴾ [النساء: ٦٠]
(٣) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذينَ فَرَّقوا دينَهُم وَكانوا شِيَعًا لَستَ مِنهُم في شَيءٍ...﴾ [الأنعام: ١٥٩]

(٤) قَالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَومَ تَبيَضُّ وُجوهٌ وَتَسوَدُّ وُجوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] الآيَةَ: "تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالِائْتِلَافِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدَعِ والاختلافِ".

(٥) عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُؤْمِنُ الذي يَرْجُو لقاءَ اللَّهِ كلامَ الصادقِ المصدوقِ في هذا المقامِ، خُصُوصًا قَوْلَهُ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لو وَافَقَتْ من القلوبِ حياةً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

(٦) وَرَوَاهُ أيضًا من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ لكنْ ليسَ فيهِ ذِكْرُ النارِ.

(٧) وهو في حديثِ مُعَاوِيَةَ عندَ أَحْمَدَ وأبي دَاوُدَ، وفيهِ: " أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ».

(٨) وقد تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ».

الشرح: ذكر المصنف للدلالة على مقصوده من الترجمة ثمانية أدلة:

فالدليل الأول: دلالته ظاهرة، فالسِلْم هو الإسلام، والآية خطاب للمؤمنين بإن يدخلوا في الإسلام كله ولا يأخذوا بعض ويتركوا بعض، فمن أخذ بجميع الشريعة دخل في الإسلام ومن أخذ بعض وترك بعض مما تركه كفر لم يدخل في الإسلام، وقوله تعالى {ادخلوا..} صيغة أمر والأمر يدل على الوجوب.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: "هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا ﴿في السلم كافة﴾؛ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئًا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه؛ إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعًا للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه يلتزمه، وينويه فيدركه بنيته.." اهـ

والدليل الثاني: دلالته في تتمة الآية وهو قوله سبحانه ﴿يُريدونَ أَن يَتَحاكَموا إِلَى الطّاغوتِ وَقَد أُمِروا أَن يَكفُروا بِهِ..﴾ [النساء: ٦٠] قيل أنها نزلت في نزاع حصل بين يهودي وبين منافق والمنافق يزعم أنه أسلم، فلما طلب منه اليهودي التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم رفض ذلك المنافق وأراد التحاكم إلى أحد الطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى وهو أحد الكهان من اليهود، فأنزل الله سبحانه هذه الآية استنكارًا لفعل هذا المنافق الذي يزعم أنهم منافق، إذن من يزعم أنه مسلم يجب عليه قبول جميع شرع الله وأوامره فهذا دخول في الدين كله أم تأخذ ما تهوى وترفض ما يخالف هواك فهذا انحراف عن الدين وعدم الدخول فيه.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: "يُعجِّب تعالى عبادَه من حالة المنافقين الذين يزعُمون أنَّهم مؤمنون بما جاء به الرسولُ وبما قبلَه، ومع هذا ﴿يُريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغوت﴾، وهو كلُّ مَن حَكَمَ بغير شرع الله؛ فهو طاغوتٌ، والحالُ أنَّهم ﴿قد أُمِروا أن يكفُروا به﴾؛ فكيف يجتمع هذا والإيمان؛ فإنَّ الإيمان يقتضي الانقيادَ لشرع الله وتحكيمِهِ في كل أمر من الأمور؛ فمَنْ زَعَمَ أنه مؤمنٌ واختار حكم الطاغوت على حكم الله؛ فهو كاذبٌ

في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إيَّاهم، ولهذا قال: ﴿ويُريد الشيطانُ أنْ يُضلَّهم ضلالًا بعيدًا﴾ عن الحقِّ"اهـ

الدليل الثالث: فيه ذم للذين تفرقوا في الدين، وهذا التفرق يكون بأخذ بعض الشريعة وترك بعضها فنشأ عن ذلك: التفرق والاختلاف، وهذا خلاف أمر الله سبحانه بالدخول في الإسلام كله.

الدليل الرابع: قول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي حاتم في [تفسيره (٣/ ٧٢٩)] قال: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْمَرْوَزِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ قُدَامَةَ، عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ قَالَ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
قال ابن أبي حاتم: وَبِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ قَالَ: تَسْوَدُّ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلالَةِ"
وإسناده منكر ففيه مجاشع بن عمرو وهو منكر الحديث متروك.

ويصح الاستدلال بهذه الآية في سواد وجه أهل البدع، ولازم ذلك بياض وجه أهل السنة بما رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن / سورة آل عمران (ح٣٠٠٠) قال: "حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ».
قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَأَبُو غَالِبٍ اسْمُهُ: حَزَوَّرٌ، وَأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ اسْمُهُ: صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ وَهُوَ سَيِّدُ بَاهِلَةَ".
دَرَج دمشق: يعني الطريق المؤدي إلى مسجد دمشق.
ووجه الدلالة منه: أن عقوبة وجزاء من فرق الدين أن يسوّد وجهه يوم القيامة، وأن الذي اجتمع على الدين كله ولم يخالفه ويفرق دينه باتباع هواه يبيّض وجهه يوم القيامة.

الدليل الخامس والسادس: حديث يعرف بحديث الافتراق وقد اختلف العلماء في صحة الحديث وضعفه، وقد تتبع جمع من أهل الحديث طرق هذا الحديث فصححوه، وأما رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في سنن الترمذي إسنادها ضعيف، وقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي وغيره كما ذكر الإمام وليس فيه ذكر دخول تلك الفرق للنار والشاهد من حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة هو: ذكر الافتراق، وسبب الافتراق هو عدم الدخول في الإسلام كله باتباع الهوى، فاتباع الهوى ينشأ عنه ظهور فرق ومذاهب منحرفة منتسبة للإسلام توالي وتعادي على أصول ابتدعوها، وهذا خلاف أمر الله سبحانه وتعالى بالدخول في الدين كله، فالإسلام جاء بالاجتماع، والافتراق في الدين مخالفة للأمر بالاجتماع وهذا عدم دخول في الإسلام كله.

الدليل السابع: حديث معاوية وهو حديث حسن، الشاهد منه هو خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بظهور أهل الأهواء الذين سيخرجون في هذه الأمة وفرق بين قولنا في الأمة وقولنا من الأمة فاللفظ الثاني مشعر بخروجهم من الإسلام، واللفظ الأول مشعر ببقائهم داخل الإسلام، وقوله تتجارى من التحرك والانتشار السريع، يعني تنتشر فيهم البدع سريعًا، فالأهواء هي البدع.
والكَلَبُ: هو مرض يعرف بمرض السعار وهو يصيب الكلاب وينتقل إلى غيرها عن طريق العض.
وهذا تشبيه من النبي صلى الله عليه وسلم لسرعة انتشار الأهواء المضلة في الناس المنتسبين للإسلام كسرعة انتشار مرض السعار جسم المصاب به فلا يبقَ منه موضع عرق يعني وريد، أو مفصل من مفاصل العظام إلا ودخله هذا المرض، كذلك هذه الأهواء تنتشر بينهم فتفسد عقائدهم وسلوكهم تمامًا.
فالحديث فيه ذم شديد للأهواء والتحذير من الافتراق في الدين، والسلامة من ذلك هو الدخول في الإسلام كله وعدم الإحداث فيه باتباع الهوى.

الدليل الثامن: وهو قوله «ومبتغ في الإسلام سُنّةَ الجاهلية» سبق في باب وجوب الإسلام بيان المراد، فالجاهلية هي خلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فكل من يجيء بما يخالف سنن- أي شرائع الإسلام- فهو قد جاء بسنن الجاهلية وهذا من الافتراق وعدم الدخول في الإسلام كله.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْبِدْعَةَ أَشَدُّ مِن الكَبَائِرِ" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة: بيان خطورة البدعة وأنها أشد وأخطر من الكبائر، فإن البدع عبادات يزعم أصحابها أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى لذا هم في الغالب لا يتوبون منها، وأما الكبائر فأصحابها يعلمون أنها ذنوب سيؤآخذون عليها لذا في الغالب يتوبون منها ولا يعتقدون أنها قربة تقربهم إلى الله سبحانه.

وحتى نفهم هذا الباب لا بد أن نعرف معنى البدعة وما يتعلق بها، ومعنى الكبيرة:
- البدعة: هي الإحداث- يعن الاختراع والاتيان بشيء جديد- في الدين مما ليس منه يراد بها زيادة التقرب إلى الله سبحانه.
- الكبيرة: هي المعصية التي ورد فيها وعيد شديد من القرآن أو السنة، بعقوبة دنيوية كحد كرجم الزاني وقطع يد السارق، أو وعيد أخروي كاللعن والتوعد بالنار، أو ينص على أنها كبيرة في النصوص صراحة.
والبدع قد تكون في أمور الدنيا وقد تكون في أمور الدين.
فالبدع في أمور الدين ليست داخلة في النصوص الذامة للبدعة وهي ليست المقصودة في كلام أهل العلم والأحكام التي يترتب عليها من الحكم بالضلال والفسق والكفر بسببها، وإنما البدع المذمومة هي ما كانت في أمور الدين،فالبدع في أمور الدين كلها ضلال كما قال رسول الله صلى الله عليه سلم «وكل بدعة ضلالة» وهي تنقسم إلى بدع مكفرة وبدع مفسقة، فالبدع المكفرة تخرج صاحبها من دائرة الإسلام ويترتب على ذلك تنزيل أحكام الكفر الأكبر والشرك الأكبر عليه، والبدع المفسقة يحكم على فاعلها بالبدعة والانحرف والضلال لكنه لا

يخرج من دائرة الإسلام ويتعامل معه بالإنكار والهجر والحكم بالضلال والانحراف إلى آخر ما يتعلق بذلك من أحكام في التعامل مع المبتدع.
وينبغي أن يعُلم أن ليس كل من وقع في البدعة يُبدّع ولا كل من وقع في الكفر يُكفّر، فالتبديع والتكفير لهما شروطهما وموانعهما إن تحققت يحكم على المرء بالكفر أو بالبدعة.

فنقول خلاصةً في سبب كون البدعة شر من الكبيرة:
(أ) البدعة تُغيّر الدين وتفسد العقيدة بخلاف المعصية فهي معروفة بأنه معصية محرمة.
(ب) البدعة تُقدم على أنها دين يتقرب به إلى الله عز وجل فتكون سببًا في إضلال الناس، بخلاف الكبيرة.
(ج) البدعة تستمر وتكبر وترسخ خاصة في البيئة التي يغلب عليها الجهل بالتوحيد والسنة فتتوسعُ، بخلاف الكبيرة فهي محدودة.
(د) صاحب البدعة قلَّ أن يتوب؛ لأنه يعتقد أن هذه قربة يتقرب بها إلى الله فلِمَ يتوب منها! بخلاف معصية الكبيرة فهو لا يعتقد أنها قربة، لذا قال من قال من السلف: أن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية.

قال المصنف رحمه الله تعالى:
(١) وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ..﴾ [النساء:١١٦] الآية.
(٢) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿.. فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ..﴾ [الأنعام: ١٤٤].
(٣) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [النحل:٢٥] الآية.
(٤) وفي الصحيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ في الخوارجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».
(٥) وَفِيهِ أيضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهى عن قَتْلِ أُمَرَاءِ الجَورِ ما صَلَّوْا.
(٦) وعن جَرِيرٍ أَنَّ رَجُلًا تَصَدَّق بصَدَقَةٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الناسُ، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
(٧) ولهُ مِثْلُهُ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ، ولَفْظُهُ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ثم قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ»" اهـ

الشرح: ذكر المصنف لبيان مقصوده من ترجمة الباب سبعة أدلة:

الدليل الأول: الآية من سورة النساء ووجه الدلالة أن الشرك بالله والعياذ بالله من أعظم البدع، فمن وقع في بدعة الشرك فإن الله لا يغفر له هذا ويكون خالدًا مخلدًا في جهنم وبالتالي تكون البدعة شر من كبيرة المعصية، فالبدع منها بدع شركية ومنها بدع كفرية، ومنها بدع مفسقة.
فمثال البدع الشركية: كل أنواع الشرك بالله هو داخل في مسمى البدع الشركية.
ومثال البدع الكفرية: كنفي رؤية الله وعلو الله وكالقول بخلق القرآن وكنفي صفات الله تعالى ونحو ذلك.

ومثال البدع المفسقة: الاحتفال بالمولد وليلة الإسراء والمعراج والتقيد بأذكار ليست واردة في الكتاب ولا السنة وما شابه ذلك.

الدليل الثاني: وجه الدلالة من الآية أن الآية تتكلم في سياق ذم المشركين الذين قسموا بهيمة الأنعام إلى أقسام فمنها سائبة ومنها بَحيرة ومنها وصيلة ومنها حام، ثم زعموا أن الله حرم هذه الأصناف افتراءً على الله سبحانه وتعالى.

فكذلك المبتدع فهو من أظلم الناس؛ لأنه يفتري على الله الكذب ويزعم أن هذه البدع التي نسبها للشرع هي من دين الله سبحانه وتعالى وهذا من الكذب والإفتراء الذي يتسبب بإضلال الناس، فهم يقتدون به في بدعته التي يزعم أنها من الدين، أما العاصي فالناس لا يتبعونه ولا يقتدون به لأنهم يعرفون أنها معاصي وهم وإن فعلوها فلا يتخذونها دينًا يتقربون بها إلى الله سبحانه.

الدليل الثالث: فيه دلالة على الأثر السلبي للبدعة وشرها وخطورتها على المبتدع الذي أحدثها، فإن المبتدع زيادة على الإثم الذي حصل عليه بهذه البدعة فكل من يعمل بهذه البدعة سيناله آثام مضاعفة من غير أن ينقص من آثام المبتدعة، فأول من أحدث بدعة تتابع الناس عليها فالمبتدع الأول له نصيبه من الإثم إلى أن تندثر هذه البدعة فلا يعمل بها.

الدليل الرابع والخامس: الحديث الأول لفظه «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ...» [أخرجه البخاري (ح٦٩٣٠) ومسلم (ح١٠٦٦)] من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والحديث الثاني: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» أخرجه البخاري (ح٧٤٣٢) ومسلم (ح١٠٦٤)] من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ووجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال الخوارج لمن لقيهم وذمهم أشد الذم لخطورتهم كما سبق في حديث أبي أمامة أنه قال عن الخوارج: «كلاب النار كلاب النار»، ولخطورة بدعتهم على الإسلام عزم على قتلهم لو أنه لقيهم استقباحًا لبدعتهم وخطورتها وقطعًا لهم، وهذا بخلاف أصحاب المعاصي من أهل الكبائر فإنه لم يتوعد بقتلهم فحينها يتبين خطورة البدع وأنها شر من كثير من كبائر الذنوب.

الدليل السادس: قوله (وفيه أيضًا) يعني في الصحيح لكن المقصود بالصحيح هنا صحيح مسلم (ح١٨٥٤): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَتَكُونُ أُمَراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فَمَن عَرَفَ بَرِئَ، ومَن أنْكَرَ سَلِمَ، ولَكِنْ مَن رَضِيَ وتابَعَ قالوا: أفَلا نُقاتِلُهُمْ؟ قالَ: لا، ما صَلَّوْا»

وجه الدلالة منه أن الأمراء والحكام قد يظلمون رعيتهم وهذه كبيرة من كبائر الذنوب ومع ذلك حرّم قتالهم

الدليل السابع والثامن: الشاهد منهما قوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [صحيح مسلم (ح١٠١٧)]، وفي الحديث الآخر [رواه مسلم (ح٢٦٧٤)] «ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثمِ مثلُ آثام من تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك من آثامِهِمْ شيئًا» الكلام فيهما كالكلام على الدليل الثالث في بيان الأثر السلبي من البدعة على المبتدعة بكونه

يحمل وزره ووزر من ضل بسبب بدعته من غير أن ينقص من وزره شيئًا فهذا يبين خطورة هذه البدعة.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَلَى صَاحِبِ الْبِدْعَةِ" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة: بيان قبح البدعة وشناعتها وأن من آثارها السلبية عدم توفيق الله سبحانه وتعالى للمبتدع للتوبة من بدعته فيموت عليها إلا من شاء الله، وليس المقصود بعدم قبول التوبة! فالله سبحانه يقبل توبة المشرك فمن باب أولى أن يقبل توبة المبتدع لكن لشؤم البدعة واعتقاد المبتدع أن هذه البدعة ديانة يتقرب بها إلى الله سبحانه يصر عليها وغالبًا أنه لا يتوب منه وهذا من عدم توفيق الله سبحانه له.

وهذا يبين لك حقيقة أن البدعة شر من الكبائر.

وقوله احتجز: هو بمعنى المنع، والتأخير والإبعاد، فالمعنى أن الله منع وصول المبتدع إلى التوبة وجعله بعيدًا عنه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" (١) هذا مَرْوِيٌّ من حديثِ أَنَسٍ، (٢) وَمِنْ مَرَاسِيلِ الحَسَنِ، (٣) وَذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ عن أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ عندَنا رَجُلٌ يَرَى رَأْيًا فَتَرَكَهُ، فَأَتَيْتُ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ، فَقُلْتُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَانًا تَرَكَ رَأْيَهُ؟ قَالَ: انْظُرْ إلى ماذا يَتَحَوَّلُ، إِنَّ آخِرَ الحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِن أَوَّلِهِ، يَمْرُقُونَ مِن الإِسْلَامِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ".

وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ معنى ذلكَ فَقَالَ: لَا يُوَفَّقُ لِلتَّوْبَةِ." اهـ

الشرح: ذكر المصنف لبيان مقصوده من الترجمة ثلاثة أدلة:

الدليل الأول: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه له عن طريقين:

الأول: ما رواه ابن وضاح [البدع والنهي عنها (ص١٠٩)] وابن أبي عاصم [السنة (٢١/١) [ح٣٧)] والبيهقي [شعب الإيمان (٥٤/١٢) (ح٩٠١٠)] من طرق: عن بقية قال: حدثني أيضًا محمد، عن حُمَيْد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الله حَجَزَ التوبةَ عن كُلِّ صاحبِ بِدْعَة».

وإسناده ضعيف جدًا ففيه محمد وهو: محمد بن عبدالرحمن القشيري وهو واه وضعفوه جدًا.

والثاني: ما رواه الطبراني [المعجم الأوسط (٤/ ٢٨١) (ح٤٢٠٢)] والبيهقي [شعب الإيمان (١٢/ ٥٥) (ح٩٠١١)] من طرق: عن هارون بن موسى الفروي قال حدثنا أنس بن عياض عن حُمَيْد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة» وفي لفظ «احتجب الله التوبة عن صاحب كل بدعة».

وهذا الإسناد حسن، فهو المعتمد في الباب.

وحجز وحجب واحتجب كلها بمعنى واحد أي المنع والإبعاد وعدم التوفيق للتوبة.

الدليل الثاني: ما روي من مراسيل الحسن أي البصري، وهو ما رواه ابن وضاح [البدع والنهي عنها (ص١٠٩)] بإسناده قال: نا أسد قال: نا عبدالله بن خالد، عن بقية قال حدثني محمد عن هشام عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أبى اللهُ لصاحِبِ بِدْعَةٍ بتوبة».

*وإسناده ضعيف ففيه محمد وهو: محمد بن عبدالرحمن القشيري وهو ضعيف جدًا.

*وفيه انقطاع بين الحسن وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فالحسن لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ومراسيل الحسن ضعيفة عند أهل الصنعة من علماء الحديث.

الدليل الثالث: ما روي عن أيوب أي أيوب السختياني الإمام المعروف، ومحمد المقصود بالرواية هو محمد بن سيرين رحمه الله من أئمة التابعين.

*وإسناد القصة حسن.

وأما لفظ الحديث الذي ذكره ابن سيرين رحمه الله فهو الحديث المخرّج في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يَخْرُجُ ناسٌ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فيه حتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إلى فُوقِهِ، قيلَ ما سِيماهُمْ؟ قالَ: سِيماهُمُ التَّحْليقُ - أوْ قالَ: التَّسْبِيدُ -». [البخاري (ح٧٥٦٢) ومسلم (ح١٠٦٤)].

وليس في مسلم: ثم لا يعودون فيه.

وقوله: يمرقون من الدين: أي يخرجون من ملة الإسلام سريعًا كخروج السهم من الهدف المرمي فإنه يدخل فيه من جانب ويخرج من الجانب الآخر بسرعة.

وقوله: ثم لا يعودون فيه، إشارة إلى أنهم لا يتوبون مما هم عليه ويعودون إلى الاعتقاد الصحيح مثلما لا يعود السهم من الرمية إلى القوس.

وهذا من عدم توفيق الله سبحانه وتعالى لهم بالتوبة مما هم عليه؛ ولظنهم أن ما هم عليه هو الإسلام الصحيح، لذا من دان بعقيدة الخوارج قل أن يتوب منها.

وفي هذه القصة التي ذكرها ابن وضاح عن محمد بن سيرين رحمه الله يخبر فيها عن الغالب من حال أهل البدع أنهم إن وجد منهم من تاب عن بدعته التي هو عليها أنه يقع في غيرها، وهكذا ينتقلون من بدعة إلى بدعة وقل من يوفقه الله سبحانه ويتوب من البدع، فهذا يفيدنا على خطورة البدع وأهل البدع، وأن الإنسان يجب عليه أن يحرص أشد الحرص أن يأخذ دينه عمن عرف بصحة الاعتقاد وسلامة المنهج وإلا نشأ وتربى على عقيدة ضالة فأنى يتوب منها.!

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
(١) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران:٦٥] إلى قَوْلِهِ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة: بيان حقيقة الانتساب، فما من فاضل إلا وانتسب له من ليسوا منه، كانتساب اليهود والنصارى لإبراهيم عليه السلام بزعمهم، وكنسبة السحرة أنفسهم لسليمان عليه السلام، كذلك سينتسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ليسوا على طريقته، فالعبرة هو السير على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الابتداع في الدين، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان حنيفًا مسلمًا وما كان من اليهود ولا النصارى المشركين بل اليهود والنصارى جاؤا من بعده فكيف ينسب متأخر إلى متقدم! لكن ينسب له من كان على ملته الحنيفية.

قال المصنف رحمه الله تعالى:
(٢) وقولِه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾ الآيتين [البقرة:١٣٠].
(٣) وفيهِ حديثُ الخوارجِ، وقدْ تَقَدَّمَ.
(٤) وفى الصحيح أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِيَ الْمُتَّقُونَ»،
(٥) وفيه أيضًا عن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَ لهُ أَنَّ بعضَ الصحابةِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ اللحمَ، وقال آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ الدَّهْرَ، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنِّي أَنَامُ وأَقُومُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».
فَتَأَمَّلْ إذا كانَ بعضُ أَفَاضِلِ الصحابةِ لَمَّا أرادَوا التَّبَتُّلَ للعبادةِ، قالَ فيهِ هذا الكلامَ الغليظَ، وسَمَّى فِعْلَهُ رُغُوبًا عن السُّنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ هذا من البِدَعِ، وما ظَنُّكَ بِغَيْرِ الصحابَةِ؟" اهـ

الشرح: ذكر المصنف خمسة أدلة في هذا الباب:

الدليل الأول: هي الآيات في الباب من سورة آل عمران، فهؤلاء اليهود والنصارى اختلفوا وتفرقوا ومع ذلك ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكُلٌّ يدعي أنه على ما كان عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكذلك أهل البدع رغم اختلافهم وتفرقهم ينسبون بدعهم واختلافهم إلى أن هذا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم أشبه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام في كونه على الحنيفية وبراءته من انتساب أهل الأهواء له، وأهل البدع أشبه باليهود والنصارى باختلافه وتفرقهم ونسبتهم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثاني: الشاهد {إلا من سفه نفسه} فالراغب عن ملة إبراهيم أي التارك لملة إبراهيم سفيه أي خفيف العقل منحرف، فكذلك الراغب عن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته سفيه العقل منحرف.

الدليل الثالث: حديث الخوارج، والمقصود منه أن هؤلاء الخوارج مرقوا من الدين أي خرجوا منه؛ بسبب

رغبتهم عن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم أي تركهم لطريقة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته فنتج عنه خروجهم من الدين وعدم عودتهم إليه عقوبة من الله سبحانه وتعالى فكذلك يكون حال كل من يرغب يعني يترك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ويحدث في الدين ما ليس منه.

الدليل الرابع: الحديث بهذا السيق لا يعرف لكنه ملفق من حديثين: فالأول «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء» أخرجه البخاري (ح٥٩٩٠) ومسلم (ح٢١٥) واللفظ له]: من رواية عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جِهارًا غيرَ سرًا يقول: «إن آل أبي – يعني فلانًا- ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّيَ الله، وصالحُ المؤمنين».
واللفظ الثاني وهو: «إنما أوليائيَ المتقون» روي بهذا اللفظ عند ابن أبي عاصم في [السنة (ح٢١٢)] وغيره: «إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وحَيْثُ كَانُوا. اللَّهُمَّ إِنِّي لا أُحِلُّ لَهُمْ فَسَادَ مَا أَصْلَحْتُ وايم والله لَتَكْفَأَنَّ أُمَّتِي عَنْ دِينِهَا كَمَا تكفأن الإناء في البطحاء».
من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه وإسناده صحيح.

ووجه الدلالة من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن ليس على دينه ولو كانوا من أقاربه، فأخبر أن آل أبي فلان ليس من أوليائه، وجاء في بعض الروايات التصريح بأنهم آل أبي طالب، يعني ليسوا من أنصاره ولا يحبهم ما دام أنهم ليسوا على دينه وأخبر أن أولياءه المتقين يعني ولو كان من غير قرابته ونسبه كسلمان الفارسي وبلال الحبشي فهم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأحب إليه من أبي لهب وأبي طالب، فالوَلاية بفتح الواو بمعنى النصرة والمحبة.
فالقصد: أن الحديث فيه البراءة من المشركين ولو كانوا من قرابته ولا قيمة للقرابة عند الخلاف في الدين.

الدليل الخامس: ودلالته ظاهرة في كون أولئك الصحابة رضي الله عنهم خالفوا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا رغبة عن سنته ومن رغب عن سنته يعني يتركها ولا يعمل بها على ما ثبت عنه صلوات ربي وسلامه عليه فليس منه، فيستفاد من هذا أن يجب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعدم العدول عن طريقته، فكيف بالذي يحدث في دين الله سبحانه ثم يزعم أن هذا من شرع الله وأن هذا مما يحبه الله ورسوله افتراء عليهما!

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "بابُ قولِ اللَّهِ تَعَالَى:
(١) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..﴾ الآية [الروم:٣٠].

الشرح: مقصود الترجمة: أن المسلم يجب عليه الالتزام بالفطرة التي خلق الله الناس عليها وهي دين الإسلام، فأراد المصنف في هذا الباب أن يبين الفطرة وأنها دين الإسلام والأمر بالثبات عليها، فالذي يبتدع في الدين ويخالف طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا قد خالف الفطرة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(٢) وقَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ الآية [النحل:١٣٢].

(٣) وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية [النحل:١٢٣].

(٤) وعن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَأَنَا وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيمُ وَخَلِيلُ رَبِّي»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

(٥) وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

(٦) ولهما عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ! رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

(٧) ولهما عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، قالوا: فكيفَ تَعْرِفُ مَن لمْ يَأْتِ بعدُ مِن أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ رَجُلًا لهُ خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بينَ ظَهْرَانِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قالوا: بَلَى.

قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا».

(٨) وللبخاريّ: " بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ فَذَكَرَ مِثْلَهُ قَالَ: فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ ".

(٩) وَلَهُمَا فِي حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العبدُ الصالحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(١٠) وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فيها مِن جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» ثُمَّ قَرَأَ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] الآية، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١١) وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخيرِ وَأَنَا أَسْأَلُهُ عن الشرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا في جاهليَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخيرِ، فَهَلْ بعدَ هذا الخيرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: وَهَلْ بعدَ ذلكَ الشرِّ من خيرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قومٌ يَسْتَنُّونَ بغيرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذلكَ الخيرِ مِن شَرٍّ ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إليها قَذَفُوهُ فيها» قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «قَوْمٌ مِن جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شجرةٍ، حَتَّى يَأْتِيَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»، أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ عَنْهُ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: «هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ».

(١٢) وَقَالَ أبو العَالِيَةِ: " تَعَلَّمُوا الإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بالصراطِ المستقيمِ، فَإِنَّهُ الإِسْلَامُ، ولا تَحَرَّفُوا عن الصراطِ يَمِينًا ولا شِمَالًا وعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ ". انْتَهَى.

تَأَمَّلْ كلامَ أبي العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هذا ما أَجَلَّهُ وَاعْرَفْ زَمَانَهُ الذي يُحَذِّرُ فيهِ من الأهواءِ التي مَن اتَّبَعَهَا فَقَدْ رَغِبَ عن الإِسْلَامِ، وتفسيرَ الإِسْلَامِ بالسُّنَّةِ، والإِسْلَامِ وخوفَهُ على أعلامِ التابِعِينَ وعُلَمَائِهِم من الخروجِ عن السُّنَّةِ والكتابِ يَتَبَيَّنْ لكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ وقَوْلِهِ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وَأَشْبَاهِ هذهِ الأصولِ الكبارِ التي هِيَ أَصْلُ الأُصُولِ، والناسُ عنها في غَفْلَةٍ.

وَبِمَعْرِفَةِ هذا يَتَبَيَّنُ لك مَعْنَى الأحاديثِ في هذا البابِ وأَمْثَالِهَا.

وَأَمَّا الإنسانُ الذي يَقْرَأُهَا وَأَشْبَاهَهَا وَهُوَ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ أَنَّهَا لا تَنَالُهُ، وَيَظُنُّهَا في قومٍ كانُوا فَبَانُوا، آمِنًا مَكْرَ اللَّهِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

(١٣) وعن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثم قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هذهِ سُبُلٌ؛ عَلَى كُلِّ سبيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، وَقَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] رَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ." اهـ

الشرح: ذكر المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة عشر دليلًا ليبين مقصود الترجمة:

فالدليل الأول: الآية المصدّرة في الباب وهي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..﴾، الشاهد منها فيها الأمر بإقامة الوجه للدين أي أخلاص الدين لله سبحانه مائلًا عن الشرك مستقيمًا على

التوحيد وأن هذه هي الفطرة التي فطر الناس عليها أي خلقهم عليها كما في الحديث الذي سيأتي أنه ما من مولود إلا يولد على الفطرة.. الحديث.

الدليل الثاني: الشاهد منه تتمة الآية ﴿وَوَصّى بِها إِبراهيمُ بَنيهِ وَيَعقوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطَفى لَكُمُ الدّينَ فَلا تَموتُنَّ إِلّا وَأَنتُم مُسلِمونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] أوصاهم بالثبات على الإسلام لأنه دين الله سبحانه وتعالى الذي اختاره لهم.

الدليل الثالث: الشاهد من الآية ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ فهذا أمر الله سبحانه باتباع ملة إبراهيم وملة إبراهيم هي الحنيفية السمحة، الميل الشديد عن الشرك إلى التوحيد والبراءة من المشركين والخلوص من الشرك وأهله، فهذا فيه أمر بالثبات على الإسلام وعدم الانحراف عنه.

الدليل الرابع: وهي رواية ابن مسعود، والحديث اخْتلِفَ فيه وصلًا وإرسالًا، فقد روي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود به.
وروي عن أبي الضحى عن عبدالله بن مسعود به.
ورجح الإمام الترمذي إرساله وكذلك أبو حاتم وأبو زرعة، قال الترمذي رحمه الله في [سننه (٢٩٩٥)]: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا **أَبُو أَحْمَدَ** قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ قَالَ: حَدَّثَنَا **أَبُو نُعَيْمٍ** قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ: «هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ، وَأَبُو الضُّحَى اسْمُهُ: مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ».
حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا **وَكِيعٌ**، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي نُعَيْمٍ وَلَيْسَ فِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ." اهـ
ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي كلاهما عن سفيان عن أبيه عن عبدالله بن مسعود به.
فأبو نعيم، ووكيع، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، أربعتهم خالفوا أبا أحمد الزبيري.
قال أبو زرعة وأبو حاتم في رواية أبي أحمد الزبيري عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله: "هذا خطأ رواه المتقنون من أصحاب الثوري عن الثوري عن أبيه عن أبي الضحى عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا مسروق." [العلل لابن أبي حاتم (٤/ ٦١٤)]
وأبو الضحى لم يُدرك مسروقًا فالإسناد منقطع.

الدليل الخامس: أخرجه [مسلم (ح٢٥٦٤)] ودلالته على مقصود الترجمة: أن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب وصلاحها وأعمال العباد، ولا ينظر إلى الأجساد والهيئة؛ لأن الميزان عنده صلاح القلب وصلاحه بكونه على الفطرة وسلامته من الملل الكفرية والمذاهب البدعية المنحرفة، وصلاح العمل بأن يكون موافقًا لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان حال العبد كذلك ثبت على دين الإسلام وإلا انحرف.

الدليل السادس حتى التاسع: فيها سوء عاقبة الانحراف عن الطريق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فإن أولئك في الظاهر كانوا من أمته صلوات ربي وسلامه عليه لكن أُخبر بأنهم بدلوا وغيروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في بعض ألفاظ الحديث قوله «سحقًا سحقًا لمن غير بعدي» «سحقًا سحقًا» أي بعدًا، فكل من أحدث في الدين وابتدع ما ليس منه فهو مطرود عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ففيه سوء عاقبة المبتدع في الآخرة وأن هذه عقوبة من حرف في الدين. وقوله «فلا أراه يَخلُص منهم إلا مثل هَمَلُ النَّعَم» يعني لا ينجو منهم إلا القليل وهذا يدلك على خطورة الابتداع. وأما قوله كما يقول العبد الصالح وكنتُ شهيدًا ما دمتُ فيهم.. الآية، ففيه براءته من هؤلاء المبتدعة المحدثين في الدين كبراءة عيسى عليه الصلاة والسلام من الذين حرفوا دينه وزعموا ألوهيته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

الدليل العاشر: وهو حديث ما من مولود إلا ويولد على الفطرة وجه الدلالة منه: أن الإنسان الأصل أنه يكون على الفطرة وهو الإسلام لكن بسبب تأثير البيئة ينحرف إما إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، وكذلك الإلحادية، وكذلك قد تكون البيئة منحرفة انحراف عقدي كالتصوف والتمشعر ونحو ذلك فينحرف معهم، فالابتداع انحراف عن الفطرة، كملل الكفر فهي انحراف عن الفطرة.

الدليل الحادي عشر: وهو حديث حذيفة رضي الله عنه وجه الدلالة منه: «قوم يستنون بغير سنتي..» «دعاة على أبواب جهنم...» «قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» فهذا كله تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الشرور وهي شر في الدين وانحراف عنه، لذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وإمام المسلمين ففي ذلك السلامة من الوقوع في هذا الشر العظيم، فلو قدر أن هذا الشخص في زمن ليس فيه جماعة ولا إمام يلزمه، أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالدين بشدة كالذي يعض على شجرة بقوة طلبًا للنجاة.

الدليل الثاني عشر: وهو كلام أبي العالية الرياحي واسمه رفيع بن مهران وهو تابعي جليل من كبار التابعين ومن العلماء الراسخين توفي سنة ٩٣هـ، فتأمل كيف أن أبا العالية رحمه الله تعالى يوصي بهذه الوصية بتعلم دين الإسلام وبعدم الانحراف عنه وحثهم على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم والحذر من البدع في زمن السلف الصالح في القرن الأول وهو خير القرون في وقت لم تظهر البدع كظهورها فيما بعد وعلامة السنة والتمسك بها وبالإسلام ظاهرة ومع ذلك خاف عليهم من الانحراف عن السنة والوقوع في البدعة فكيف إذن حال من جاء من بعد القرون الأولى! فالأمر أشد، لذا كلامه يستفاد منه الحذر من البدع والخوف منها والفرار منها كالفرار من الأسد، والسعي الشديد بالتمسك في دين الإسلام وعدم الرغبة عنه.
الدليل الثالث عشر: وجه الدلالة منه بيان أن الصراط المستقيم هو الإسلام فيجب الالتزام به ففيه السلامة

والنجاة وأن هناك طرق منها ما يؤدي إلى الشرك ومنها ما يؤدي إلى الكفر ومنها ما يؤدي إلى البدع والأهواء وعلى كل طريق من هذه الطرق قوم من شياطين الإنس والجن يزينون هذه الطرق الباطلة فيجب الحذر من ذلك والتمسك والثبات على الطريق المستقيم وهو الإسلام، وثباتك على هذا الطريق يكون بلزوم السنة بفهم سلف هذه الأمة.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "بابُ ما جَاءَ في غُرْبَةِ الإسْلَامِ وفَضْلِ الغُرَبَاءِ" اهـ.

الشرح: مقصود الترجمة، بيان ما جاء في النصوص من الأدلة على وقوع الغربة في الإسلام، وما لأهله من الغرباء من فضل عند الله سبحانه وتعالى.

فمعنى الغربة: البعد والانفصال، فغربة الإسلام أي بعد الناس عن الإسلام حتى يقل عدد المتمسكين بالإسلام الصحيح، فالإسلام كما ظهر غريبًا سيعود غريبًا كذلك كما بدأ، فالغريب يشعر بالوحدة وقلة المثيل له الموافق له في دينه أو في اعتقاده وهذا له أجر عظيم عند رب العالمين كما سيأتينا في النصوص.

فمن مظاهر غربة الإسلام:

١- قلة المستقيمين على الدين.

٢- كثرة انتشار البدع والمعاصي.

٣- ضعف الهوية الإسلامية لكثرة انتشار الثقافات التي تخالف الهوية الإسلامية.

٤- الشعور بالوحدة، ومن جميل كلام ابن القيم رحمه الله واصفًا حقيقة الغرباء وحالهم: " فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلّتهم في النّاس جدًّا سُمُّوا غرباء، فإنّ أكثر النّاس على غير هذه الصِّفات، فأهل الإسلام في النّاس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهلُ العلم في المؤمنين غرباء، وأهلُ السُّنّة الذين يميّزونها من الأهواء والبدع فيهم غرباء، والدّاعون إليها الصّابرون على أذى المخالفين لهم أشدُّ هؤلاء غربةً، ولكنّ هؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم، وإنّما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة" اهـ [مدارج السالكين (٤/ ٧٠)]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(١) وقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآيَةَ.

(٢) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٣) وَرَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ قِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِن القبائلِ». وفي روايةٍ: «الغُرَبَاءُ الذين يَصْلُحُونَ إذا فَسَدَ الناسُ».

(٤) وَرَوَاهُ الإمامُ أحمدُ من حديثِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، وفيهِ: «فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ».
(٥) وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي».
(٦) وعن أبي أُمَيَّةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ: فقلتُ: يا أبا ثَعْلَبَة كَيْفَ تَقُولُ في هذهِ الآيةِ؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية، قَالَ: أَمَا واللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عنها رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصبرِ، القابِضُ فِيهِنَّ على دينِهِ كالقَابِضِ على الجَمْرِ، للعامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»، قُلْنَا: مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بلْ مِنْكُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والترمذيُّ.
(٧) وَرَوَى ابنُ وَضَّاحٍ مَعْنَاهُ مِن حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَفْظُهُ: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهَا، الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».
(٨) ثُمَّ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ، أَنْبَأَنَا أَسَدٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَسْلَمَ الْبَصْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ أَخِي الحَسَنِ يَرْفَعُهُ، قُلْتُ لِسُفْيَانَ عنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّكُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ وَلَمْ تَظْهَرْ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ؛ سَكْرَةُ الجَهْلِ وَسَكْرَةُ حُبِّ العَيْشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَا تُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ، وَتَظْهَرُ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ، فَالْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ»، قِيلَ: مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْكُمْ».
(٩) وَلَهُ بِإِسْنَاده عَنِ الْمَعَافِرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ حِينَ يُتْرَكُ، وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأُ»" اهـ

الشرح: ذكر المصنف للدلالة على الترجمة تسعة أدلة:

الدليل الأول: الشاهد منه في تتمة الآية ﴿فَلَولا كانَ مِنَ القُرونِ مِن قَبلِكُم أُولو بَقِيَّةٍ يَنهَونَ عَنِ الفَسادِ فِي الأَرضِ إِلّا قَليلًا مِمَّن أَنجَينا مِنهُم وَاتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَموا ما أُترِفوا فيهِ وَكانوا مُجرِمينَ﴾ [هود: ١١٦]
فقوله ﴿إِلّا قَليلًا مِمَّن أَنجَينا﴾ فقد كانو ينهون عن الفساد في الأرض أم البقية الكثيرون فقد كانوا لا ينهون عن الفساد، إذن الناجين قلة، وهذا دليل على غربتهم وتمسكهم بالحق بين كثير من أهل الباطل وهو سبب نجاتهم، فإذا تبين لك هذا فلا تستوحش غربتك بين أهل الباطل لأن هذه علامة على نجاتك.

الدليل الثاني: فيه بيان على عودة غربة الإسلام فكما ظهر الإسلام غريبًا بين الشرك كذلك ستعود الغربة في آخر الزمان أو في فترات ضعف الالتزام بالدين، فالغربة على نوعين:
- غربة الإسلام بين الأديان.
- وغربة المسلم بين أهل الإسلام، وهذا خبر صادق عن النبي الصادق صلوات ربي وسلامه عليه وهو واقع كما نشاهد من غربة أهل التوحيد والسنة بين أهل الشرك والبدعة، وسيقع حتى لا يبقَ في الأرض من يقول الله الله.
وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضل هؤلاء الغرباء بأنهم طوبى لهم، وهذه بشارة لهم بالسعادة في الدنيا

والآخرة والأجر العظيم من رب العالمين، وقيل أن طوبى اسم شجرة في الجنة فبما أن هذه الجنة من نصيبه في الآخرة فمآله إذن دخول الجنة.

وبقية الأدلة المكملة لا تخلو من ضعف، وكذلك فيها دلالة على فضل الغرباء والبشارة لهم بالسعادة في الدارين وفيه وصف لهم بأنهم من قبائل شتى وأنساب متفرقة وأعراق مختلفة وما لهم من مضاعفة الأجر ومضاعفة الأجر لهم بقدر أجر خمسين صحابي يدل على فضل الغربة في زمن الغربة لأن حاله كحال الذي يمسك الجمر يديه دلالة على شدة ما يجد من غربة شديدة فيجازيه الله سبحانه بعظيم الأجر، وليس المقصود أن الغرباء الذين يأتون بعد الصحابة أفضل من الصحابة فالصحبة لا يعدلها شيء وأقلهم صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن جاء بعد الصحابة، لكن المقصود أن المفضول قد يكون له شيء من الفضل النسبي على غيره مع وجود من هو أفضل منه.

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى: "(بَابُ التَّحْذِيرِ مِن البِدَعِ)" اهـ

الشرح: مقصود الترجمة: التحذير من البدع وقد سبق أن ذكر أن البدعة شر وأشد من الكبائر، وأن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة، فكرر الكلام في هذا الباب عن البدعة تأكيدًا على خطرها ووجوب الحذر والتحذير منها لخطورتها على المسلمين، ففي هذا الباب نصوص توجب على أصحاب القلب السليم الخوف من البدع ومن الوقوع فيها وبيان لخطرها وأثرها السلبي.

قال المصنف رحمه الله تعالى:" (١) عن العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ منها القلوبُ وذَرَفَتْ منها العيونُ، قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».
قَالَ: التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٢) وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُلُّ عِبَادَةٍ لا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فلا تَعَبَّدُوهَا، فَإِنَّ الأَوَّلَ لَمْ يَدَعْ للآخِرِ مَقَالًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ، وَخُذُوا طَرِيقَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ"، رَوَاهُ أبو دَاوُدَ.
(٣) وَقَالَ الدَّارِمِيُّ: أَخْبَرَنَا الحَكَمُ بنُ المُبَارَكِ، أَنْبَأَنَا عَمْرُو بنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بابِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبلَ صلاةِ الغَداةِ، فإذا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إلى المسجدِ، فَجَاءَنَا أبو مُوسَى الأشعريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إليكم أبو عبدِ الرحمنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لا، فَجَلَسَ مَعَنَا حتى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إليهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أبو مُوسَى: يَا أبا عبدِ الرحمنِ، إِنِّي رَأَيْتُ آنِفًا في المسجدِ أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالحمدُ للهِ إِلَّا خيرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فقالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي المَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصلاةَ، في كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وفي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فيقولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ

أَوْ انْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِن تِلْكَ الحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الذي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عبدِ الرحمنِ، حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ والتهليلَ والتسبيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وهذهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أو مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ، قَالوا: واللَّهِ يا أَبَا عَبْدِ الرحمنِ مَا أَرَدْنَا إلا الخيرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ للخيرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بنُ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَنَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ".

واللهُ أعلمُ بالصواب
وصلّى اللهُ على محمد وآله وصحبه،
وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الشرح: ذكر المصنف ثلاثة أدلة ليبين مقصود الترجمة بالتحذير من البدعة وخطورتها:

فالدليل الأول: الشاهد منه «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، فهذا تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم لنا من الأمور المحدثة وهي البدع، والبدع جمع بدعة وهي إحداث عبادة في الدين يقصد بها زيادة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى؛ وموجب التحذير: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الدين كله، فالذي يأتي بالبدع يلزمه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكمل الدين فمات والدين ناقص، فجاء هذا المبتدع الضال فكمل النقص الذي لم يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم!
وينبغي أن يعلم أن المبتدع لا يؤجر على بدعته بل عليه وزرها ووزر من يعمل بها ممن يتابعه عليها وهي مردودة غير مقبولة.

والدليل الثاني: من كلام حذيفة رضي الله عنه فهو كالقاعدة التي ينبغي أن ينطلق منها المسلم وهو أن يكتفي بالمتابعة ولا يبتدع في دين الله سبحانه وتعالى عبادة لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بها ولم يفعلها أصحابه رضي الله عنهم وهم أحرص على الخير ممن جاء بعدهم، فلو كانت هذه البدعة التي جاء بها المبتدع فيها خير لسبقنا إليها الصحابة، فالكلام فيه تحذير من الابتداع ويكتفى في الدين بالاتباع بما ورد في الكتاب والسنة ففيه غنية عن إحداث عبادة في الدين، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنهما: "اتَّبِعوا ولا تبتدِعوا فقد كُفِيتُم، وكلُّ بدعةٍ ضلالة". [العلم لأبي خيثمة (٥٤) وإسناده صحيح].
وقال رضي الله عنه: "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العِلْمُ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم، فإذا جاء العلمُ من قِبَلِ أصاغِرِهِم هَلَكُوا". [الزهد لابن المبارك/ مصنف عبدالرزاق].

والدليل الثالث: في قصة إنكار عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على أهل البدع وتغليظه عليهم وهذا نوع من

أنواع التحذير من البدع وأهلها، وقد تفرس فيهم رضي الله عنه أن حالهم سيكون أسوء وقد وقع ذلك إذ انضم أولئك المبتدعة الذين أنكر عليهم عبدالله رضي الله عنه مع الخوارج في قتالهم للصحابة.
وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم «يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه» وكما سبق في كلام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى في باب أن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة.

والله أعلم

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.